جامعة بيرزيت
BIRZEIT UNIVERSITY

تكتيكات التجاوز والمناورة عند المرأة الفلسطينية في ظل وجود الاستعمار الصهيوني: جدار الفصل العنصري نموذجا

Palestinian Women's Tactics and Maneuvering in Crossing the Racist Apartheid Wall of the Zionist Colonization

رسالة ماجستير مقدمة من الطالبة:

أميرة منير اندراوس هلال

إشراف الدكتورة

رندة ناصر

كانون ثاني 2013 م

تكتيكات التجاوز والمناورة عند المرأة الفلسطينية في ظل وجود الاستعمار الصهيوني: جدار الفصل العنصري نموذجا

Palestinian Women's Tactics and Maneuvering in Crossing the Racist Apartheid Wall of the Zionist Colonization

أميرة منير اندراوس هلال

إشراف: د. رندة ناصر

د. ريما حمامي

د. لينا ميعاري

"قُدّمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في النوع الاجتماعي والتنمية

من كلية الدراسات العليا في جامعة بيرزيت، فلسطين"

كانون ثاني 2013

شكر

يعتبر هذا البحث وليد جهد ومثابرة اربع سنين طوال، فقد أضاف برنامج دراسات المــرأة فــي جامعة بيرزيت لثقافتي ومعرفتي الكثير الكثير، فالشعور المغاير نحو ذاتي هو الذي ينتابني، لأني الآن اقرأ النصوص بطريقة مختلفة وهذا بفضل طرق التفكير الجديدة التي اكتسبتها من اساتذتي الذين أكن لهم هائل التقدير والعرفان. فأسلوب الدكتورة ريما حمامي في التحليل ادهشني، وفكر الدكتورة سامرة اسمير أذهلني، وأفكار الدكتور موسى البديري سحرني، امــا طريقــة تحليــل الدكتورة رندة ناصر وكيفية بحثها عن الاجابات شعرت بأنها تشبهني، ولــذلك اختــرت العمــل معها...

فبعد نيل شهادة البكالوريوس من جامعة بيت لحم في إدارة الأعمال، انخرطت في سوق العمل، ومن خلال العمل شاركت في ورشة عمل في رام الله نظمها طاقم شؤون المــرأة حــول النــوع الاجتماعي. وبالرغم من شحّ معرفة المدربة عن الموضوع الا ان الموضوع جــذب اهتمــامي، وبعدها مباشرة فكرت في الدراسة في جامعة بيرزيت بالرغم من بعد الجامعة عن مكان ســكني الكائن في مدينة بيت ساحور، وبالرغم من مسؤولياتي المتعددة من عمل وبيت وزوج وطفلتــين، وبالرغم من كل الصعوبات التي واجهتني الا ان المتعة هي التي امتلكتني، المتعة فــي امــتلاك معارف جديدة، وطريقة تفكير مختلفة، والتطرق لثقافات متنوعة، والتعرف على أشخاص جدد...

ولتلك الاسباب مجتمعة اود أن اشكر كل شخص ساعد في إنجاز هذا البحث بصورة مباشــرة او غير مباشرة. فسأبدأ بزوجي الذي ساندني طوال رحلتي، وامي التي شجعتني على الاســتمرار وأبي الذي حمسني على المثابرة، وحماتي التي اعتنت بطفلتي أثناء غيابي. اما الذين واللــواتي ساعدوني من الناحية الاكاديمية، فإني أخص بالذكر مديري نصار ابراهيم، الذي أمضى ساعات

وساعات معي، نتناقش وندقق مواضيع اوراقي، وساندي واليساندرو بيتي اللــذين كانــا بمثابــة الحافز على اكتشاف خفايا لم أكن افكر فيها. واما الاستاذ محمد نعيم فرحات فقد كان نقاشه معي هو الانطلاقة لكتابة مقترح الرسالة. وصوفي ديفرو فقد ساعدتني كثيرا في مراجعــة الادبيــات السابقة وفي هيكلية البحث، ونداء وليلى ابوعيطة وحنين رباع اللــواتي ســاعدن فــي تــدوين المقابلات الميدانية، وعمي الغالي هاني عودة لتدقيقه اللغوي. ولن انسى كيتي بيهيــل وماجــدة عطاالله في موضوع الترجمة. ولا يسعني الا أن أشكر عمو جميل هلال الــذي قــرأ الرســالة واعطاني ملاحظاته القيمة. وأقدم شكرا خاصــا لمركــز Lamun Langugae solution بادارة الاستاذتين لميس ابو نحلة ومنى جقمان لترجمة وتدقيق ملخص اللغة الانجليزيــة. ولــن انسى جلين باومان لأنه كان الملهم لاختيار الموضوع ولو بطريقة غير مباشرة. ونقاشاتي مــع عدنان عطية والاستاذ ابراهيم الشيخ اللذين كانا واثقين من قدرتي. وأشكر أيضا لجنــة النقــاش على تعاونها وملاحظاتها القيمة التي تهدف إلى تطوير البحث، بالاضافة إلى مشرفتي الــدكتورة رندة ناصر التي تحملت وكافحت كثيرا معي وقدمت ما بوسعها لانتاج هذا البحث. ولولا مساندة ابو الحمص فلم أتمكن من إتمام مهمة العبور الخفي في مدينة القدس المحتلة. وأخيرا لن انســى أبدا بطلات البحث اللواتي أضعن من وقتهن لمقابلتي، فقد تعلمت منهن الكثير...

فكل هؤلاء الاشخاص لهم الفضل في إنجاز هذا البحــث الطويــل، فلهــم منــي كــل التقــدير والاحترام...

قائمة المحتويات

		صفحة
الفصل الاول	المقدمة	1
	أهمية البحث	8
	التحديات والصعوبات	9
الفصل الثاني	مراجعة الأدبيات	11
	الاطار النظري	15
	1) الحياة اليومية	15
	تعريف الحياة اليومية	16
	2) المقاومة	26
	المقاومة اليومية	26
	تعريف المقاومة	31
	مقاومة الاحتلال الصهيوني	34
	أساليب الاحتلال الصهيوني القمعية	34
	مراجعة الادبيات الامبيريقية	37
	مقاومة الفلسطينيين لسياسات الاحتلال الصهيوني	37
	مقاومة الاحتلال الصهيوني المادية	37
	مقاومة الاحتلال الصهيوني الفكرية	39
	مقاومة البطرياركية الفلسطينية	43
	الحالة الدراسية	48
الفصل الثالث	المنهجية	52
الفصل الرابع	وصف وتحليل الحالات الدراسية	70
	المحور الاول: النساء الفلسطينيات والسيطرة الصهيونية	73
	تكتيكات الوصول إلى مدينة القدس المحتلة	73
	أسلوب المجموعة المنظمة	79
	فكرة تنظيم المجموعة	83

	أسلوب المخاطرة الفردية	84
	تكتيكات النساء عند القبض عليهن	87
	تكتيكات تصرّف النساء في مدينة القدس المحتلة	93
	تكتيكات الرجوع من مدينة القدس المحتلة	96
	العبور الخفي ومقاومة الاحتلال الصهيوني	97
	المحور الثاني: كيفية تعامل النساء مع القوى المجتمعية الداخلية	105
	المحور الثالث: تأثير تجربة النساء على ذواتهن	112
	حوافز مخاطرة العمل في مدينة القدس المحتلة:	112
	مخاطرة ومعاناة	115
	مخاطرة ومتعة	118
	تجربة العبور الخفي وتمكين النساء	124
الفصل الخامس	الخاتمة	126
	قائمة المصادر والمراجع	131

ملخص

تتناول هذه الدراسة الحياة اليومية لبعض النساء الفلسطينيات اللواتي يسكنّ في منطقة بيت لحم المعزولة بجدار وحواجز ومعابر طرق ويعبرن في الخفاء إلى مدينة القدس المحتلة عن طريق اختراق السياج "الشيك" الذي يفصل بين الضفة الغربية ومدينة القدس المحتلة بهدف الوصول إلى اماكن عملهن في الدراجة الاولى. والتعرف على الآليات التي تستخدمها تلك النساء لإنجاح عملية عبورهن تلك هو الهدف من هذه الدراسة، بالإضافة إلى معرفة الدوافع التي تدفعهن للقيام بهذا العمل وتعريض أنفسهن على جميع المستويات الجسمانية والنفسية لقوات الاحتلال الصهيوني الذي يقوم بممارسات القمع والتعذيب ضد الفلسطينيين باستمرار. ومن خلال سرد رواياتهن سنتمكن من فهم المعاني التي تنتجها النساء عند ممارسة نشاطاتهن المختلفة تلك، بالإضافة إلى الكشف عن مصادر القوى التي تسيطر على ذواتهن وكيفية تعاملهن معها.

وللوصول إلى هدف البحث تم استخدام منهج المسح الكيفي من خلال أسلوب الانخراط المباشر والمتكرر مع مجتمع النساء اللواتي يعبرن إلى مدينة القدس المحتلة في الخفاء، والمقابلات المعمقة وجلسات النقاش والزيارات، بالإضافة إلى التجربة الشخصية لعملية العبور الخفي مع مجموعة من النساء، وذلك من أجل التعرف المعمق لحقيقة تلك التجارب العملية. وقد تم اختيار عينة الدراسة بمساعدة أفراد تثق النساء بهم كل الثقة وعن طريق النساء أنفسهن حيث أصبحت المعلومات الضرورية لإنجاز البحث تكبر مثل كرة الثلج، مع الأخذ بعين الاعتبار فكرة التنويع في مناطق عيش النساء السكنية.

أظهرت هذه الدراسة بأن الممارسات التي تقوم بها النساء لإنجاح عملية عبورهن الخفي تُعتبر مقاومة للاحتلال الصهيوني وللمجتمع الذكوري الفلسطيني، وفي نفس الوقت يمكن اعتبارها هروبا من واقعهن الاجتماعي وإيجاد المتعة لذواتهن. فالتطرق إلى مجتمع يختلف عن مجتمعات الدراسات التي عالجت مفهومي الحياة اليومية والمقاومة، أظهر معانٍ أخرى لمفهوم المقاومة.

فبالرغم من أن السبب الرئيسي من بدء انخراط النساء في سوق العمل هو العامل الاقتصادي لكن المعنى قد تحوّل إلى معنىً سياسي يعكس نفسه ببزوغ فكرة المقاومة السياسية. فما تقوم به تلك النسوة من سعي لبيع الخضار او العمل في التنظيف، لا يدلّ على ممارسة نشاطات فيها مقاومة سياسية، لكن المعنى الكامن والحاضن لكل هذه العملية هو عدم الاستسلام لأساليب القمع التي يستخدمها الاحتلال الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني، والإيمان بحق الذهاب إلى مدينة القدس المحتلة رغما عن وجود الحواجز وجدار الفصل العنصري الخانق الذي يمنع الفلسطينيين من الوجود في أرضهم التي سُلبت منهم بدون أي نوع من المساءلة القانونية المحلية او الدولية.

وقد تحول المعنى أيضا إلى معنىً اجتماعي يتحدى علاقات القوة والسيطرة الذكورية التي تقيّد تحركات وتصرفات النساء. فقد بيّنت الدراسة بأن كل امرأة تتعامل مع علاقات القوى المجتمعية بناءً على ظروفها وإمكانياتها.

ونشاطات النساء أيضا تعتبر مصدراً لمتعة النساء أنفسهن، لأن النساء بعملهن في مدينة القدس المحتلة يهربن من مجتمعهن الذي يقيّد تصرفاتهن وتحركاتهن، وينطلقن إلى عالم مغاير يجدن فيه الشعور بالذات والتحرر من المجتمع ومن مسؤولياتهن ولو لساعات محدودة.

Abstract

This thesis deals with the daily life of some Palestinian women who live in the area of Bethlehem, isolated by the Wall, checkpoints and crossings. These women secretly cross into the occupied City of Jerusalem by penetrating the “barbed-wire” fence which separates the City from the West Bank simply to reach their workplace. The main goal of the thesis is getting acquainted with the mechanisms that the women use to successfully enter the occupied City of Jerusalem, as well as finding out the motivations behind such an act and exposing themselves (or which exposes them) to all sorts of physical and psychological [dangers] resulting from oppression and torture practiced on regular basis by the Zionist occupation forces against the Palestinian people. Through narrating their stories, we can understand the meanings the women produce when they pursue their various activities and we can uncover the sources of power that control their subjective selves and how they deal with it as well.

To achieve this goal, a qualitative research methodology was used, by getting involved through direct and constant participation in the community of these women who enter secretly the occupied City of Jerusalem, by conducting in-depth interviews, having group discussions and visiting with them, as well as getting the personal experience of the process of going through the crossing in clandestine ways with a group of them in order to have a real in-depth understanding of the experience of this process.

The study sample was selected with the help of individuals highly trusted by these women and through the women themselves, until the information needed for the research started snowballing. The sample selection also took into consideration the variation in the residential distribution of the women.

The research showed that the procedures the women follow to make their secret crossing into the occupied City of Jerusalem a successful process are a form of

resistance against the Zionist occupation and against the Palestinian patriarchal society; yet, at the same time, the process can be understood as an escape from their social reality and a sort of entertainment for themselves, or some sort of self gratification.

Referring to researches that dealt with the concepts of daily life and resistance in communities different from the study community of this research showed different meanings for the concept of resistance.

In spite of the fact that the women's involvement in the labor market was initially motivated by the economic factor, the meaning of their involvement in labor was transformed into a political meaning representing itself in the emergence of the idea of political resistance. While these women seeking to sell their vegetables or to work in cleaning does not show that the activities practiced involve any political resistance, the meaning implied in the whole process and embodying it is never yielding to the occupation strategies as well as the presence of checkpoints and the smothering Apartheid wall which prevent Palestinians from existing on their land which the occupation forces had stolen from them without legal accountability on either the national or international levels.

In addition to that, the meaning was transformed into a social one, challenging the patriarchal power relations and control that limit the movement and behavior of women. In this regard, the study showed that each of the women has to deal with the powers of social relations within her own conditions and capacities.
The women's activities can also be considered a source of pleasure for the women themselves because, through their work in the occupied City of Jerusalem, these women escape from their communities which constrain their behavior and movements and embark upon a different world, where they find self-recognition and freedom from their societies and responsibilities, albeit for a few hours.

الفصل الاول

مقدمة

"بدي أحكي قصتي وانا شاردة في الجبل، والله يومها ضيّعت 200 شيكل. من عماة البصر الجزدان وقع من عبّي ويومها كانو مشددين، ولما وصلت وقطعت مدّيت ايدي وما لقتوش، وعرفت انو الجزدان ضاع، ويومها الجيش صارو ينادو، وبطّلت أخاف منهم، عقلي في الجزدان والمصاري وين راحن، اجا عليّ الجندي وقلتله: اسمع فكّ عني، جزداني ضايع! والله يومها حزن عليّ وقلّي ارجعي دوّري علي، وانا رجعت ودوّرت بس ما لقيتوش، والمشكلة انّو ما فش معي مصاري اروّح، وبالصدفة أجت وحدة وشردنا انا وياها، بس رجعو زقطونا، وتداينت منها 50 شيكل عشان اقدر اروّح، فيومها مش بس ضاع الجزدان وكمان ما قدرتش امرق! شو بدي اسوي؟"

روت (س) هذه الطرفة بروح مرحة ونحن جالسات عند معمل الطوب ننتظر الحافلة التي ستقلّنا إلى مدينة القدس المحتلة بعدما عبرنا في الخفاء من معبر الزيتونة، وضحكنا معها جميعاً. تسلّط رواية (س) الضوء على مخاطرتها أثناء عملية عبورها عبر الحواجز الخطيرة إلى مدينة القدس المحتلة، فعبور (س) يعني المرور في الخفاء، وعادة يكون بعد منتصف الليل، عن جنود الاحتلال الصهيوني واختراق السياج او الشيك (الجدار المؤقت) الذي يفصل مناطق الضفة الغربية عن مدينة القدس المحتلة من قبل الاستعمار الصهيوني، وذلك بهدف الوصول إلى مكان عملها الكائن في مدينة القدس المحتلة.

من خلال الانخراط المباشر مع مجتمع النساء اللواتي يعبرن إلى مدينة القدس المحتلة في الخفاء، ومن خلال المقابلات المعمقة وجلسات النقاش والزيارات، بالإضافة إلى التجربة الشخصية لعملية

العبور الخفي مع مجموعة من النساء، قمت بالتعرف على تلك التجارب العملية. وفي هذه الدراسة الأكاديمية تم استخدام نظريات ودراسات إمبيريقية عن تفاصيل الحياة اليومية لترشيد عملية البحث العلمي ولوصل الحلقة بين العمل الميداني والمعرفة النظرية، بغية فهم تفاصيل الحياة اليومية للنساء الفلسطينيات اللواتي يناضلن في حياتهن اليومية بهدف بقائهن وبقاء عائلاتهن. وهذا البحث سيشكل محاولة لإنتاج معرفة جديدة تكشف أسرار وخفايا هذا المجتمع الصغير.

تستهدف دراسة حياة الناس اليومية الكشف عن أنماط سلوكية يمارسها الناس في حياتهم كل يوم، فهي تمكّننا من فهم كيفية ابتكارهم لممارسات مختلفة بهدف إعادة تنظيم واقعهم، هذا بالإضافة إلى تسليط الضوء على كيفية تفاعل الأفراد مع الأنساق والمؤسسات الاجتماعية وعلاقات القوة والسيطرة التي يعيشون ضمنها (غدنز، 2005). وبالتالي فإن دراسة تفاصيل الحياة اليومية بشكل معمق ومن خلال التعايش المباشر مع الافراد المعني دراستهم تمكّننا من وصف سلوك الأفراد في السياق اليومي بالإضافة إلى أن مسألة تشكيل الهويات والمحافظة عليها تتأثر أيضا في هذا السياق. فالحياة العادية يمكن أن تشكّل تحديات غير عادية للأشخاص، الأمر الذي يمكن أن ينتج معانٍ مختلفة تعتمد على خبرة الأفراد وتجاربهم وتصوّراتهم. فعن طريق دراسة الحياة اليوميّة نحاول أن نفهم المعاني التي ينتجها الأفراد عندما يمارسون شتى أنواع النشاطات اليومية. هذا بالإضافة إلى محاولة اكتشاف إذا ما كانت تلك النشاطات تشكّل تحدياً وتغييراً في هيكليات القوة المفروضة على ذواتهم.

وقوع الشعب الفلسطيني تحت هيمنة الاحتلال الصهيوني الذي سيطر على حياة الشعب الفلسطيني اليومية من الضروري أن يؤدي إلى تغيير مظاهر ومعاني حياتهم المعاشة، ولهذا

جذب موضوع الحياة اليومية الكثير من انتباه الباحثين الذين يدرسون المجتمع الفلسطيني. فدراسة ريما حمامي تَعتبر ممارسات الفلسطينيين أفعالا تقاوم الاحتلال الصهيوني، فعن طريق دراسة كيفية تأثير الحواجز العسكرية على حياة الفلسطينيين، اكتشفت حمامي بأن الفلسطينيين اعطوا معنىً مختلفا للحاجز بما يمثله من موقع يقهرهم ويمنعهم من ممارسة حياتهم اليومية، فقد اعتبر الفلسطينيون بأن مهمتهم تكمن في قطع الحاجز قاصدين الرد على أساليب الاحتلال الصهيوني القمعية التي تهدف إلى تجميد حياتهم واستسلامهم، فقد غيّر الفلسطينيون من حقيقة الحاجز، وبهذا التغيير اوجدوا مساحة لأنفسهم من خلال جعلهم للحاجز فضاءً حيويا خُلقت من ورائه حياة عادية من تجارة وتنظيم مواصلات، وبهذا هزموا ما يمثله الحاجز والجنود من مواقع قهر وذل بل اصبح معناهما رمزيا ويمثل واجب استمرار الحياة اليومية رغما عن أنف الاحتلال (حمامي، 2006).

واعتبرت صوفي ريختر ديفرو في دراستها أن ممارسات النساء الفلسطينيات تقاوم الاحتلال الصهيوني بالإضافة إلى مقاومة ثقافة المجتمع الفلسطيني الذكوري، فعندما سلّطت الباحثة الضوء على تقاطع فاعلية النساء وهيكليات القوى المختلفة الاجتماعية والسياسية من حول النساء الفلسطينيات، عندما درست ممارسات النساء عند التجوال، وجدت أنه وبالرغم من تأطير ممارسات النساء عند عبور القيود الصهيونية المفروضة كنشاطات مقاومة ضد الاحتلال الصهيوني، فهي في نفس الوقت انتهازا للفرصة لتحدي وتجاوز آليات السيطرة البطرياركية الداخلية (ريختر ديفرو، 2009). اما لاورا جونكا فوجدت أن ممارسات الفلسطينيين تعتبر هروبا من الواقع، وفي درستها لحياة الناس اليومية على شاطئ مدينة غزة، إدّعت جنكا بأن ذهاب الفلسطينيين إلى الشاطئ بحثا عن التسلية والمرح يُعتبر هروبا من واقعهم الأليم، لأنهم لم

يستطيعوا إيجاد إمكانيات المقاومة المباشرة التي تمكّنهم من النضال والقتال ضد الاحتلال الصهيوني (جونكا، 2006).

اما هذه الدراسة فستتناول الحياة اليومية للنساء الفلسطينيات اللواتي يعشن في مناطق حول مدينة القدس المحتلة- المعزولة بجدار وحواجز طرق ومعابر يصعب اختراقها- ويعبرن إلى مدينة القدس المحتلة خفيةً عبر جدار الفصل العنصري المؤقت طلبا للعمل. وعند التحدث عن عملية العبور في الخفاء تلك لا بد من التطرق بشكل تفصيلي حول مصادر القوى المسيطرة التي تمنع ذلك العبور، وهذا التساؤل يحيلنا إلى التعامل مع قوة الاحتلال الصهيوني. فالقسم الاول من أسئلة البحث الفرعية يتضمن كيفية تعامل النساء مع أساليب المنع والاستبعاد والقمع الصهيونية المتمثلة بجدار الفصل العنصري والحواجز العسكرية لتخطي هذه العقبات والعبور إلى الجهة الأخرى. فكيف يصلن إلى مدينة القدس المحتلة؟ وما هي ردّة فعلهنّ عند إمساك الجنود بهن أثناء محاولات العبور، وكيف يتصرفن داخل تلك المدينة من دون التصاريح التي تسمح بوجودهن فيها؟ وكيف يعدن إلى بيوتهن؟ فهل الدافع من وراء أفعال النساء الفلسطينيات هو العامل الاقتصادي أم السياسي؟ فهل تُعتبر أفعال ونشاطات النساء الهادفة لإنجاح عملية العبور الخفي مقاومة لأساليب الاحتلال الصهيوني القمعية كما أظهرت دراسة حمامي (حمامي، 2006)؟ فبعض منظري المقاومة أمثال جيمز سكوت يرون بأن الفاعل يجب أن يقصد المقاومة لكي نستطيع إحالة معنى المقاومة إلى أفعاله (سكوت، 1995)، لكن عاصف بيات لا يشترط هذا الشرط (بيات، 2010)، فهل النساء بأفعالهن يقصدن مقاومة الاحتلال الصهيوني، أم يعتبرن المقاومة نتيجة ثانوية؟

ومواجهة النساء لأساليب المنع الصهيونية تؤشر على وجود قوة داخلية لدى تلك الفئة من النساء، فلا بد من التعرف عليها وإظهار اذا كانت تلك القوة التي تمكنهن من المواجهة التي تحدث خارج منازلهن، تؤثر على العلاقات الداخلية داخل الأسرة وفي المجتمع الذي يحيط بهن. فهناك عدة دراسات تسلط الضوء على بروز الثقافة الذكورية في العلاقات الاجتماعية للمجتمع الفلسطيني وبأشكال متعددة (الرشيدي، 2005؛ جاد، 1990؛ روبنبيرغ، 2001؛ ريختر ديفرو، 2009)، فما هي أشكال البطرياركية التي تعاني منها تلك النساء، وما هي الاختلافات في هذه الاشكال؟ فهل تتحدى وتقاوم النساء النظام الابوي الداخلي كما بينت دراسة ريختر ديفرو (ريختر ديفرو، 2009)؟ أم أن القوة والجرأة التي اكتسبتها النساء تبقى خارج الإطار الاجتماعي وتستمر النساء في تعزيز ذلك النظام عبر الانصياع لقوانينه؟ وكيف ينظر المجتمع إليهن؟ فالمستوى الثاني من الاسئلة يقوم على معرفة علاقات القوى الداخلية بين النساء والرجال في عائلاتهن والمجتمع المحيط بهن والذي يصيغها المجتمع الفلسطيني.

والقسم الأخير من الاسئلة يقوم على معرفة العلاقة بين تأثير تجربة العمل والعبور في الخفاء على تمكين النساء، فهل تجربة النساء ساعدت على زيادة تمكينهن من خلال توسيع قدراتهن على الاختيارات الاستراتيجية (كبير، 1999)؟ أم أن تأثير تجربتهن بقي ثانويا؟

ولتحقيق هدف البحث تمّ اختيار عددا من النساء كحالة دراسية، انطلاقا من وجود خصائص اجتماعية وثقافية تميّزهن، والتي بدورها تسمح لهن القيام بتلك النشاطات. فبالرغم من أن السبب الرئيسي من انخراط النساء في سوق العمل هو العامل الاقتصادي لكن من الممكن للمعنى أن يتحوّل إلى معنىً سياسي يعكس نفسه ببزوغ فكرة المقاومة السياسية. فما تقوم به تلك النسوة من سعي لبيع الخضار في سوق القدس الشرقية او العمل في التنظيف في بيوت العائلات

الاسرائيلية، لا يدلّ على ممارسة نشاطات ذات علاقة بالمقاومة السياسية، ولكن قد يكــون ذلــك المعنى كامنا وحاضنا لكل هذه العملية عبر عدم الاستسلام لأساليب المنع والاستبعاد والقمع مــن قبل الاحتلال الصهيوني، والإيمان بحق الذهاب إلى مدينة القدس المحتلة رغما عن وجود جــدار الفصل العنصري الخانق والقوات الصهيونية المسلحة التي تقتل الفلسطينيين بدون أي نوع مــن المساءلة القانونية المحلية والدولية.

فبعد استكمال المقابلات التي قمت بها تم التعرف على أسلوبين تقوم بهما النسوة بهــدف تخطّــي الإجراءات الصهيونية وجدار الفصل والوصول إلى مدينة القدس المحتلة. فالأسلوب الاول هــو الانتظام في مجموعة والثاني هو المخاطرة الفردية. ولنفهم بعمق تلك الآليات فقد تم اســتخدام نظرية دي سيرتو (1984) حول الاستراتيجية والتكتيك، لمقاربة جدار الفصل العنصري ووصفه بالاستراتيجية التي يمارسها الاحتلال الصهيوني ضد الفلســطينيين بهــدف الســيطرة والضــبط وفرض الرضوخ والانصياع وقبول سياساته الهادفة لتمرير سياساته ومخططاته والحدّ من قــدرة الفلسطينيين على المقاومة، وفي المقابل أمكن اعتبار نشاطات وتصرفات النســاء لتخطــي تلــك الاستراتيجية والنجاح في العبور من وإلى مدينة القدس المحتلة بالتكتيك. وباستخدام نظرية بيات (2010) حول التجاوزات الهادئة فقد تمّ اعتبار نشاطات النساء الفلســطينيات مــن التجــاوزات الهادئة، لأنها تعبّر عن ردّات فعل الضعفاء السرية، وهي تعارض الوضع الراهن بــالرغم مــن أنها لا تقصد المقاومة بشكل مباشر، لكن تراكم النشاطات يمكن أن يؤدي إلى تغيرات على حياة النساء كأفراد بحصولهن على الدخل المادي الذي يساعد علــى بقــائهن وبقــاء عــائلاتهن، أي الصمود في وجه سياسات الإبعاد والتطهير العرقي (بابيه، 2007)، والتغيّر الآخر الذي حــدث هو استمرار العلاقة التي تربط بين الفلسطينيين الذين يعيشون في الضفة الغربية ومدينة القــدس

المحتلة، رغما عن الاحتلال الصهيوني الذي يهدف إلى إخلائها من الفلسطينيين. ومن خلال استخدام النظريتين أعلاه تمكنّا من نقد تعريف سكوت حول المقاومة لأنه يشترط فيه ضرورة بروز القصد من وراء الأفعال لكي يتم إلحاق معنى المقاومة إليها (سكوت، 1995).

باختصار، إن التطرق إلى مجتمع يختلف عن المجتمعات التي تم ملاحظتها في الدراسات السابقة عن تفاصيل ومعاني الحياة اليومية، أظهر معانٍ أخرى للمقاومة والسيطرة.

أهمية البحث

تكمن أهمية الدراسة في مساهمتها في البحث عن كيفية ابتكار الناس العاديين في المناطق التــي تدور فيها الصراعات والنزاعات سبلا للبقاء. فقد فرض الاحتلال الصــهيوني ظروفــا قاســية وعسيرة ألقت بأثقالها على الشعب الفلسطيني كافة، فكيفية تدبيرهم لأمورهم ليتمكنوا من العــيش في ظل العقبات التي تفرضها قوى الاحتلال الصهيوني، هو الغاية من هذا البحث.

ومن ناحية جندرية ونتيجة لتباين الأدوار بين الرجال والنساء ونتيجة لاختلاف نظــرة المجتمــع على النشاطات التي يقوم بها الرجال والنساء، فقد تميزت التأثيرات التي انعكست علــى النســاء بخصوصيتها، الأمر الذي دفع النساء لمواجهة تلك السياسات بطرق خاصة، وهذا أدى إلى خلــق مظاهر وأساليب مختلفة لتخطي الصعوبات بهدف مواصلة مسيرة الحيــاة اليوميــة. فدراســة تكتيكات النساء يساعد على فهم أساليب التعايش والصمود والتحدي والمقاومة والمخاطرة بيــنهن وبين الاحتلال الصهيوني من جهة وبين المجتمع الذكوري من جهة أخرى. فالنســاء يواصــلن مسيرة حياتهن اليومية ويخاطرن بأجسادهن ضد أساليب المنــع الصــهيونية المتمثلــة بالجــدار والحواجز التي تحدّ من حركتهن، ويقطعن الحدود. ومن الناحية الأخــرى يقــاومن ويتحــدين المجتمع الذكوري الذي يقيد أيضا تحركاتهن وتصرفاتهن بطرق مختلفة. فهذا البحــث ســيلقي الضوء على ممارسات النساء الفلسطينيات اللواتي يعتبرن جزءا مهمشا في المجتمع، هذا الجــزء الذي يعتبره مفهومنا التقليدي بعيدا عن فكرة المقاومة والتحرير.

ومن الناحية النظرية وبسبب خصوصية السياق الفلسطيني بوقوعــه تحــت ســيطرة الاحــتلال الصهيوني، والذي يؤثر تأثيرا ملحوظا على حياة الفلسطينيين اليومية، فإن هذه الدراسة ستســاهم في النقاشات التي تدور حول مفهومي الحياة اليومية والمقاومة.

التحديات والصعوبات

المبحوثات من جهة وتجربة مغامرة العبور الخفي الشخصية كانتا بمثابة التحديات والصعوبات التي واجهتها لإنجاز هذا البحث.

فإيجاد النساء المستعدات لعمل المقابلة كان التحدي الأكبر لإنجاز هذا البحث. فحساسية موضوع العبور في الخفاء كان العائق عند النساء عن الحديث في الموضوع. فالخوف من النتائج المترتبة على المقابلة كان الحاسم لقرار النساء من الموافقة او قبول الحديث عن مخاطراتهن. وعدم معرفة النساء لشخصي أثّر كثيرا في عملية المقابلات. فلم أستطع أبدا دخول عوالم أي امرأة من دون الاستعانة بشخص تثق به النساء كل الثقة. وبالإضافة إلى الخوف، فإن بعض النساء لا يرغبن بعمل المقابلات بشكل عام، وهذا الجانب شعرته عندما سألت النساء برفقة شخص يعرفنه اذا رغبن بالحديث فكانت اجاباتهن عدم الرغبة عن الحديث مطلقا.

اما رفض الاشخاص المحيطين بالنساء فيعتبر سببا آخر، فعلى سبيل المثال، اصطحبتني (ف) إلى بيت (ام ث) واتفقت مع (ام ث) على عمل مقابلة معها في اليوم اللاحق، وكانت (ام ث) متحمسة كل الحماس لرواية مخاطرتها، فأخذتُ رقم هاتف بيتها، واتصلت بها في اليوم التالي وردت ابنتها وعندما أخبرتها بمن أكون قالت لي بأن أمها نائمة، فقلت لها بأني سأعاود الاتصال بعد ساعة، ولكني اتصلت بعد ساعة وبعد ساعتين فلم يُجب أحدٌ على الهاتف، وهذا التصرف يعني التهرّب من إجراء المقابلة، فلم استطع محاورة (ام ث) على الاطلاق. فعندما بلّغت (ف) عن الذي حدث، قالت: "اكيد ابنها اللي منعها تحكي، الجاهل اكيد خاف، بخاف على شو؟ احنا منحكي واقع واليهود عارفينه، يعني هو بفكر انه اليهود بعرفوش شو بيصير؟"

اما بالنسبة للتحدي الآخر فقد كانت تجربتي الشخصية للعبور الخفي، فبخـوض تلـك التجربـة تحديت نفسي في الدرجة الاولى بالإضافة إلى تحدي استراتيجيات الاحتلال الصهيوني والمجتمع من حولي. فمن خلال تجربة العبور في الخفاء استطعت أن أشعر شعورا مختلفا عن ذي قبـل، فالعيش واقعيا مع الظاهرة يمنح تفاصيل وإضاءات أكبر، هذا بالإضافة إلى شعور النساء بـأني جزء منهن، فمحاورتي اليهنّ اختلفت بعد مشاركتي معهـن تلـك المخـاطرة، لأن شـعورهن بالارتياح كان واضحا، فمقابلة (ام عل) الثانية اختلفت كثيرا عن الاولى، فموضوع المتعـة لـم استطع استنتاجه الا بعد تجربتي للمغامرة، فليس من السهل على النسـاء أن يعتـرفن بشـعور المتعة، لأن الثقافة السائدة تقيد حتى تلك الاعترافات، فخطاب النساء في البداية كان يـدل علـى المعاناة ليس إلا.

الفصل الثاني

مراجعة الأدبيات

يدور موضوع البحث حول الآليات التي تستخدمها النساء الفلسطينيات لإنجاح عملية عبورهن الخفي إلى مدينة القدس المحتلة، هذا المكان الذي يعتبرنه مصدر رزق أفضل من أي مكان آخر. فجوهر البحث هو التعرف على الطرق التي تستخدمها النساء بهدف تجاوز أساليب السيطرة التي تحيط بهن من أجل البقاء. ولذلك سيتم مراجعة الأدبيات التي تناقش موضوع الحياة اليومية للتمكن من الكشف عن كيفية ابتكار النساء الفلسطينيات طرقا مختلفة بهدف إعادة صياغة واقعهن (غدنز، 2005) لتعود عليهن بالمنافع والتي بواسطتها يستطعن العيش بطريقة أفضل.

فالنساء الفلسطينيات يعشن ضمن هياكل اجتماعية وسياسية تسيطر عليهن، وعند الحديث عن أساليب السيطرة لا بد وان نتطرق إلى مفهوم المقاومة وما يثيره من نقاشات، لنرى ما اذا كانت النساء الفلسطينيات يقاومن نظم الهيمنة التي تحيط بهن أم لا.

سنقوم في هذا الفصل بمراجعة مفهومي الحياة اليومية والمقاومة نقدياً، وذلك بهدف توضيح كيفية استخدام النظريات التي تتعلق بالمفهومين في البحث قيد الدراسة، كي تتسنى لنا إمكانية تحليل الوقائع الميدانية وفهمها بطريقة أفضل. بالإضافة إلى توضيح كيفية مساهمة الحالة الدراسية في النقاشات التي تدور حول المفهومين، لأن دراسة المجتمع الفلسطيني تفرض رؤية خصوصية، وهو وجود الاحتلال الصهيوني الذي يؤثر تأثيرا ملحوظا على حياة الفلسطينيين اليومية وأفعالهم الاجتماعية (تراكي 2008؛ ابو نحلة، 2008؛ كتّاب، 2008).

فبعد عرض عدة تعاريف لمفهوم الحياة اليومية أمكننا إنتاج تعريف للمفهوم يُعتبر مزيجا لتعريفات المنظّرين، ووجدنا من خلال مناقشة التعاريف المختلفة بأن الحياة اليومية تمكننا من فهم كيفية مقاومة الافراد للنظم التي تسيطر عليهم، وهذا الاكتشاف احالنا إلى التعمق في تنظير ميشيل دي سيرتو حول الحياة اليومية الذي يركز فيه على كيفية ابتداع الضعفاء طرقا واعية ضمن النظام العام وذلك لتغيير واقعهم ليتمكنوا من تدبير أمورهم (دي سيرتو، 1984). والتعمق في تنظير دي سيرتو أدى إلى ظهور التعارض مع حالتنا الدراسية بسبب تركيزه على ثبات الاستراتيجية (دي سيرتو، 1984)، لكن الحالة الدراسية تبين بأن استراتيجية الاحتلال الصهيوني المتمثلة بممارسات الجنود عند الجدار يمكن أن تتغير.

وبعدها تطرقنا إلى تنظير جيمز سكوت الذي يقدم رواية تختلف عن مقاومة دي سيرتو، لأنه يعتقد بأن مقاومة المسيطَر عليهم والتي يسميها السياسة التحتية هي معارضة للنظام المهيمن، وتلك المقاومة تكون مقصودة لكنها تحدث في الخفاء بسبب وعي المحكوم بالعلاقة التي تربطه مع الحاكم، فهي علاقة ضعف مقابل القوة (سكوت، 1995). وبالعودة إلى مقاربة عاصف بيات حول التجاوزات الهادئة أمكننا نقد تعريف جيمز سكوت لمفهوم المقاومة. لأن سكوت يشترط وجود القصد من وراء الافعال اذا اردنا اعتبارها أفعالا مقاومة، لكن وبسبب خصوصية السياق الفلسطيني فإن عددا كبيرا من النساء الفلسطينيات اللواتي تمّت مقابلتهن، يُلحقن معنى المقاومة عند ممارستهن نشاطاتهن المختلفة، بالرغم من أنهن لا يقصدن المقاومة بشكل مباشر، ولهذا أعتقد بأن عبور النساء الخفي إلى مدينة القدس المحتلة وما يتضمنه من أفعال يعتبر نوعا من أنواع المقاومة السياسية حتى ولو لم تكن تلك الافعال مقصودة من البداية.

بعد مراجعة الادبيات النظرية من الهام الوقوف امام بعض الأدبيات الامبيريقية التـي عالجـت موضوع مقاومة الشعب الفلسطيني، وذلك بهدف الكشف عن كيفية تجلّي المقاومـة فـي الحيـاة اليومية وكيفية تفسير المعاني التي ينتجها الفلسطينيون والفلسطينيات خلال ممارساتهم. فالمعنى الذي يُعطى للفعل يضاهي أهمية الفعل نفسه (فيبر، 1978). وبعد التـدقيق والفحـص يمكـن تصنيف أدبيات المقاومة الامبيريقية إلى قسمين: مقاومة الاحتلال الصهيوني ومقاومـة النظـام البطرياركي في المجتمع الفلسطيني. وبالنسبة لمقاومة الاحتلال الصهيوني يمكن تصنيفها إلـى مقاومة مادية ومقاومة فكرية. فأدبيات المقاومة المادية أضاءت فكـرتين، الاولـى وهـي أنـه وبالرغم من قدرة الفلسطينيين على مقاومة الاحتلال المادية، الا أن الاحتلال لم يتغير ولم ينتـهِ (حمامي، 2006)، إلا أن أساليب السيطرة الصهيونية هي التي تتغير. اما النقطة الثانيـة فقـد سلطت الضوء على فكرة الحنين الذي يشعره الفلسطينيون تجاه مكان عملهـم (بونتـو، 2011)، ويحلل الباحث هذا الشعور إلى الطريق المسدود الذي وصل إليه الفلسطينيون، فيرى الباحث بأن وضع الفلسطينيين العابرين في الخفاء بشكل عام يعتبر متناقضا، فبالرغم من معاناتهم في عملية عبورهم الخفي وبالرغم من الوضع السيئ الذي يعيشون فيه في مكان عملهم إلا أنهـم يفضّـلون البقاء في ذلك المكان، ولكن هنا سنحاول دراسة تجربة النساء الفلسطينيات من جانـب توفيرهـا فرصة لمقاومة الاحتلال والمجتمع الذي يقيدهن في سياق مخـاطرتهن لـدخول مدينـة القـدس المحتلة، فالانتقال من القرية او من المخيم إلى المدينة يعني الانتقال إلى عالم مختلف يقمن مـن خلال التفاعل معه بالمساهمة في تشكيل هوية تتخطى هويتهن في مجتمع القرية او المخيم، فهـل هذا التطور سيجلب لهن المتعة الشخصية عندما يشعرن بذاتهن ويشعرن بالتحرر من القيود التي كانت تكبلهن؟ ولهذا تصر النساء لهذه اللحظة على مواصلة المجازفة والوصول إلى مدينة القدس المحتلة؟

اما مناقشة أدبيات المقاومة الفكرية فقد انقسمت إلى قسمين: أدبيات وضّحت بأن مقاومة الاحتلال الفكرية أنتجت قوة اجتماعية (جونسون،2007؛ ريختر ديفرو، 2009؛ جونسون، 2008؛ جـين كلين، 2001)، والقسم الثاني اهتم بتحويل المقاومة الفكرية إلى مقاومة مادية (حمامي، 2005).

ومقاومة النساء للبطرياركية الفلسطينية أيضا يمكن تقسيمها إلى جزئين: الاول أدبيات ركـزت على فكرة تأثير الاحتلال الصهيوني على تقسيم أدوار النوع الاجتماعي في الأسـر الفلسـطينية (ابو نحلة، 2008؛ كتّاب، 2008؛ شلهوب كيفوركيان، 2010). والجزء الآخر سـلط الضـوء على اعتبار النساء الفلسطينيات اما ضحايا للنظام الذكوري بتعزيزهن إياه (ابو نحلـة، 2008)، او اعتبارهن مقاومات لهذا النظام (ريختر ديفـرو، 2009)، او اعتبـار النسـاء الفلسـطينيات مقاومات للنظام الذكوري في مواقف معينة وقد يعززنه في مواقف أخرى (جونسـون، 2007). فهل ممارسات النساء الفلسطينيات التي تقصد إنجاح عملية عبورهن الخفي غيّرت مـن تقسـيم الادوار في أسرهن؟ وهل تقاوم النساء المجتمع الذكوري أم هل يعززنه في مواقف معينة؟ هـذا ما سنحاول الاجابة عليه.

الإطار النظري

1) الحياة اليومية

انحدر الاهتمام بالحياة اليومية من نظريات الفعل الاجتماعي والتفاعل الرمزي. ويعتبر ماكس فيبر اول من نظّر لمدرسة الفعل الاجتماعي، بينما يعتبر هربرت ميد من أهم رواد التفاعلية الرمزية (غدنز، 2005). فنظريات الفعل الاجتماعي تهتم بقدر كبير بأهمية الفعل والتفاعل بين أفراد المجتمع، هذه الأفعال التي تلعب دورا أساسيا في تكوين البنى والهيكليات التي تنظم المجتمع وتوجه سلوكه (المصدر السابق). اما نظريات التفاعل الرمزي التي تهتم بقضايا اللغة والمعنى، فتضيء جوانب أخرى عن طبيعة أفعال البشر في حياتهم اليومية (المصدر السابق). فلدى الافراد قدرة على خلق الرموز، تلك الرموز التي تستجيب مباشرة لعمليات التفاعل الاجتماعي، وبالتالي فإن التركيز على الرموز يمكّننا من فهم أعمق لعملية التفاعل وتكوين أنماط التنظيم الاجتماعي (صيام، 2009).

فالنظريات التي تقوم على الذاتية مثل نظريتي الفعل الاجتماعي والتفاعلية الرمزية تركزان على الفرد وتعتبرانه محور الاهتمام، لكنهما تغفلا الأنساق والهيكليات التي تحيط بالأفراد وتقيّدهم بمسارات محددة، وبالتالي تصوّر النظريات الذاتية الفرد وكأنه حر وقادر على القيام بأي فعل (غدنز، 2005).

والنظريات الذاتية تُعتبر بمثابة الاستجابة للنظريات الموضوعية التي تلقي الضوء على الشروط الموضوعية التي تحدد وتسيّر أفعال الافراد نتيجة للقوى الاجتماعية التي تكبّلهم وتسيطر عليهم، فوظيفة الهياكل الاجتماعية عند الموضوعيين هي تقييد أفعال الافراد لأنها تحدد إمكانيات ممارساتهم عبر فرضها مسارات معينة يمكن ان يتّبعوها، والنظريتان الوظيفية والبنائية ركزتا

على هذا الجانب (غدنز، 2005). فيعتبر الفاعل ضمن هذا الاتجاه سلبيا ومقيدا (آدلير،1987)، لأنه لا يستطيع إلا أن يتحرك ضمن دائرة القيود التي تحيط به من كل الجوانب.

فيما نظريات الحياة اليومية تعتبر مزيجا من النظريات الذاتية والموضوعية. وذلك بسبب إعطاء الفرد مدىً معينا من الحرية مقابل تموضعه في أنساق تقيّد وتسيّر أفعالـه (تسـومبكا، 2008)، وبهذا المعنى يمكن للفرد أن يتحرك في مساحة معينة ضمن هياكل القوى المسيطرة عليه، فتكون لدى الفرد قدرة على الفعل لكنه في نفس الوقت يعتبر مقيدا بأنساق موجودة لا بـد وأن يتعامـل معها. وبالتالي فإن العلاقة بين قيود الأنساق وديناميات الأفعال يمكنها إنتاج الواقع الذي ينعكس في حياة الناس اليومية (تسومبكا، 2008). وبهذا فإن الحياة اليومية تتسم بفاعلية الأفراد وأشكال مقاومتهم للأنساق التي تحيط بهم (هايمور، 2002). فإيجاد التوازن يكون معقولا فـي معظـم الاحيان، لأن الانسان لا بدّ وأن يجد مساحة لنفسه ليشعر بالحرية وليشعر بذاتـه. وفـي نفـس الوقت فإنه يرضخ لبعض الهيكليات المفروضة عليه لعدم تمكّنه من تغييرها. فمع أن الأنسـاق الاجتماعية تشكّلت من خلال الافراد أنفسهم، لكن الفرد بعينه لا يستطيع أن يغيرها بشكل قطعي، وإن فعل فسيعتبر شاذا، فالتغيير يأتي على مراحل زمنية ومن خلال مجموعة أفراد. فهل النساء الفلسطينيات ضمن هذه الرؤية يحاولن ايجاد التوازن بين قيود الانساق والفعل، أم أنهن يرضخن لعدم قدرتهن على التغيير، أم أن ممارساتهن تبقى مجرد ممارسات شاذة؟

تعريف الحياة اليومية

اختلف العلماء في تعريف الحياة اليومية، وسنستعرض أهم العلماء الذين تعاملوا مع مفهوم الحياة اليومية وفي النهاية سننتج تعريفا يعتبر مزيجا من هذه التعريفات، لاستخدامه كناظم للتعرف على حياة الناس اليومية وأشكالها وأبعادها المختلفة حسب هذا الترشيد النظري. ومن خـلال متابعـة

سلوك ودوافع وردود فعل النساء الفلسطينيات أثناء محاولاتهن تخطّي قيود الاحتلال الصهيوني والتعامل مع ضغوط النظام الاجتماعي الذي يحيط بهن في المجتمع الفلسطيني، سنستكشف عمل هذه الدينامية وكيفية تعبيرها عن ذاتها وإمكانية اعتبارها مقاومة على الصعيدين السياسي والاجتماعي.

عندما درس ايرفنغ جوفمان الحياة اليومية في كتابه "تصور الذات في الحياة اليومية"، شبّه حياة الناس الاجتماعية بالتمثيل على خشبة المسرح، واكّد على أن الأفراد في حياتهم اليومية يقومون بأدوار تتمثّل في أفعال وتفاعلات يومية (جوفمان، 1959). فاهتمّ جوفمان بكيفية لعب الادوار المختلفة باختلاف البيئة التي يوجد فيها الأفراد، تماما كما تختلف أفعال الممثلين على خشبة المسرح ووراء الكواليس، إذن تُعتبر الحياة اليومية عند جوفمان ميدانا يمكن من خلاله أن يؤدي الشخص طرقا مختلفة، وهذا الكلام يعني أن الفرد يتصرف بناءً على البيئة المحيطة به (هايمور، 2002). لكني اقول بأن البيئة المحيطة بالفرد تؤثر على تصرفاته ، لكن القيم أيضا تلعب دورا مركزيا في تصرفاته. فعلى سبيل المثال اذا دخل شخص يحمل قيم الامانة والشرف إلى مؤسسة تحمل قيم الفساد، فإنه من الممكن أن يبقى على مواقفه النزيهة ويرفض الانغماس في الفساد. كما يوحي كلام جوفمان أيضا بأن الافراد يتصرفون بخداع، فهل تخدع الام اولادها عندما تتعامل معهم؟ فتعريف جوفمان يسلط الضوء على اختلاف الافعال اليومية باختلاف البيئة المحيطة، وممارسات الخداع التي يمارسها الافراد في حياتهم اليومية.

اما هنري ليفيبري فقد عرّف الحياة اليومية في كتابه "الحياة اليومية في العالم الحديث" على أنها التجربة المعاشة للأفراد، وانها تشكل العادي والتافه والمتكرر (ليفيبري 1971). فالحياة اليومية مصنوعة من التكرار إن كان عملا او وقت راحة، وتتشكل من هيكلية عميقة، وبأنها غامضة

لأنها تعبّر عن ما هو المتروك، أي تقع الحياة اليومية في مختلف مجالات المعرفة وخارجها، وبهذا فإن الحياة اليومية عند ليفيبري تتعلق وتشمل كل النشاطات مع كل اختلافاتها ونزاعاتها، ويؤكد ليفيبري على أن الحياة اليومية هي ليست شيئا او مكانا لكنها مجمل العلاقات (ليفيبري في هايمور، 2002). فقد ركز تعريف ليفيبري على تمثيل الانشطة اليومية الجانب الأكبر من تفاعلاتنا الاجتماعية، فتلك النشاطات العادية التي تسيطر عليها الانماط المتشابهة والمتكررة تنبثق من بنى سلوكية معينة. فالتكرار في الحياة اليومية يكون محور إغناء عند دراستها، فالممارسات التي نمارسها وإن كانت صغيرة فهي ترتبط بقضايا كبرى، وبهذا فإن دراستها ستكشف عن علاقات في سياقات مختلفة. وهذا ما اوجدته بيني جونسن عندما درست الحياة اليومية لامرأة فلسطينية لاجئة، كما وأظهرت كيف أن القضايا الكبرى ترتبط وتؤثر بشكل مباشر على ممارسات المرأة الشخصية (جونسون، 2007). فهل ترتبط أفعال النساء الفلسطينيات عندما يحاولن العبور إلى مدينة القدس المحتلة بقضايا كبرى؟

وفكرة الغموض التي طرحها ليفيبري جديرة بالاهتمام، لأن الغموض يلعب دوراً مهما في أفعال الأفراد، فما هي المعاني التي تنتجها النساء الفلسطينيات عندما يعبرن إلى مدينة القدس المحتلة رغما عن قوة الاحتلال الصهيوني وسيطرته؟ فلمعرفة النوايا والمعاني التي ينتجها الافراد لا بد وأن نكتشف ذلك.

لكن المشكلة التي طرحها ليفيبري هي افتراضه أن الحياة اليومية تشمل جميع نشاطات الأفراد، وهذا يحيلنا إلى التفكير في مفهوم الحياة الاجتماعية بشكل عام، وبذلك تصبح الحياة اليومية عنده مرادفة للحياة الاجتماعية. غير أن هايمور يرى أن مشكلة الحياة اليومية هي في أن معالمها يمكن ان تشمل معظم الامور (هايمور، 2002). لكن هناك أحداث مهمة تحدث في حياة البشر

وهي ليست يومية وإنما تعتبر تغيّرا واضحا في الحياة مثل ميلاد طفل جديد، تغيير عمل، هجرة، او وفاة شخص عزيز (مارشال، 2007). وهذا التغيير لا ينفي وجود خلخلة للمعتاد، لكن بعد التغيرات التي قد تجتاح حياة الفرد فإن الاستقرار هو الذي سيسيطر على الحياة الجديدة (غدنز، 2005). وأنا هنا أميل أكثر لمقاربة هايمور، إذ يجري النقاش حول تكرار الممارسات في الحياة اليومية لفرد او جماعة والذي يؤدي في السياق إلى نشوء ظاهرة او تغيّر في وعي الذات والمحيط، فهناك الكثير من الاحداث التي يمرّ بها الفرد او الجماعة ولكنها لا تتحول إلى ظاهرة، فهي تحدث لمرة واحدة وتنتهي.

اما بيير بورديو فقد عالج مفهوم الحياة اليومية بتطويره نظرية الممارسة في كتابه "الخطوط العريضة لنظرية الممارسة". وتتألف الحياة اليومية عند بورديو من مجموعة من الحقول الاجتماعية، والتي تعني فضاءات اجتماعية منظمة، تحوي على قواعد معينة، حيث يمارس الافراد نشاطاتهم اليومية ضمن تلك الحقول واضعين نصب أعينهم مفهوم التنافس لاحتلال مواقع السيطرة، وعن طريق اكتساب الفاعل الاجتماعي مجموعة من الاستعدادات القابلة للنقل، يستطيع أن يكيّف عمله مع ضرورات الحياة اليومية، وهذه الاستعدادات يسميها بورديو الهابتوس (بورديو، 1977). فتنظير بورديو يؤكد على وجود علاقة بين التفاعل الاجتماعي والهياكل والمؤسسات الاجتماعية التي تشكل البنية المحيطة بالأفراد الاكبر حجما، لأن الأنساق الاجتماعية تعتمد على أساليب تفاعلات الافراد مع بعضهم البعض. لكن مشكلة بورديو في هذا التنظير أنه اعتبر الحياة اليومية ساحة صراع بين كل الافراد في المجتمع، فهو يعتقد بأن كل فرد يعمل جاهدا على احتلال مواقع السيطرة ليهيمن على الآخرين، لكن الواقع يعطي أمثلة كثيرة لأفراد

يستسلمون إلى القدر ويرضون عن وضعهم كما هو، دون أن يصلوا إلى مواقع السيطرة، ولا يبذلون مجهودا أصلا للوصول إلى تلك المراتب.

بعد عرض الأدبيات المشار اليها أعلاه يمكن ان نعرّف الحياة اليومية بدمج التعاريف السابقة، فتصبح الحياة اليومية بمثابة التعبير عن الجانب المألوف في ثقافة معينة، فهي المشاهد والتجارب الحياتية اليومية المعاشة التي اعتاد الاشخاص على ممارستها في مجتمعهم (غدنز، 2005). وهي ما يتم تكراره كل يوم او اسبوع او شهر دون انقطاع (ديرار، 1998). فمجال الحياة اليومية شاسع يحوي الأبعاد الإنتاجية والسياسية والثقافية... (ديرار، 1998)، وتشمل الحياة اليومية الأمور التافهة والعادية والتي قد تكون قيّمة في تفسير وفهم العديد من الظواهر الاجتماعية (ديرار، 1998). ويعتبر الغموض من سمات الحياة اليومية لأن النشاط اليومي فيه مجالات للإخفاء والتلاعب (ليفيبري، 1971).

وهنا لا بد وأن نلاحظ إمكانيات الحياة اليومية عند الكشف عن آلية ابتداع الأفراد أفعالا متنوعة هادفين إلى إعادة هيكلة واقعهم (غدنز، 2005). فالأفراد عندما يفعلون ويتفاعلون ينتجون معانٍ تفسّر طبيعة القوة التي تدفعهم لممارسة نمط معين من الأفعال، فكما يعتقد ماكس فيبر فإن المعنى الذي يكوّنه الفرد عند ممارسة الفعل لا يقلّ قيمة عن النشاط نفسه، لأن الافعال الاجتماعية هي التي تخلق البنى الاجتماعية مثل الطبقات والأحزاب السياسية (فيبر، 1978).

وتعتبر الملاحظة السابقة محور بحثنا، فسنتابع من خلال البحث الميداني الآليات التي تبتدعها النساء الفلسطينيات من أجل التأثير في واقعهن الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، وسيركز البحث على كشف تلك الأساليب وقراءة سياقاتها وتجلياتها في الحياة اليومية لتلك النساء اللواتي يقمن بتخطي الجدار والحواجز للوصول إلى مدينة القدس المحتلة.

ولنفهم بعمق كيفية خلق الانسان تلك الأفعال المبتكرة لا بد وأن نتطرق إلى نظرية دي سـيرتو التي تتعلق بحياة الناس اليومية وأفعالهم الاجتماعية التي تناولها في كتابه الشهير الممارسة فـي الحياة اليوميـة "The Practice of Everyday Life" (دي سـيرتو، 1984). فـانطلق دي سيرتو من مناقشة ثنائية الإنتاج/الاستهلاك وعلى أساسها اسـتطاع أن يصـوغ نظريتـه التـي تتمحور حول الاستراتيجية والتكتيك (دي سيرتو، 1984). فدرس كيفية تعامل الجماعات مـع البنى التي تسيطر عليهم أينما كانوا ومتى وجدوا، والتي تتمثل في خلق مساحة لأنفسـهم عبـر إجراءات استهلاكهم، حيث يقوم الأفراد بتحولات هائلة للنظام المهيمن قاصـدين التكيـف تبعـا لمصالحهم وقواعدهم الخاصة (دي سيرتو، 1984).

فحياة الناس اليومية عند دي سيرتو تخصّ الناس العاديين وأساليب عملهم، هؤلاء النـاس الـذين يعيشون ضمن أنساق هياكل مهيمنة تسيطر عليهم، وبهذا فإن مكـانتهم معروفـة بأنهـا بمثابـة المهيمن عليهم في المجتمع لأنهم لا ينتجون هياكل السيطرة وإنما يتحركون ضمنها عن طريـق إعادة استخدامها او استهلاكها، لكن دي سيرتو يرى بأن تلك المكانة لا تعني السلبية لكنها غيـر واضحة ويمكن أن يعبّر عنها مفهوم المستهلكين او المستخدمين (دي سيرتو، 1984). بمعنـى أن جزءا من هذه الممارسات اليومية في كثير من الاحيان لا تكون أبعادها وتأثيراتهـا واضـحة منذ البداية، وانما يتبلور دورها وتأثيرها في سياق التراكم والتكرار.

فالحياة اليومية هي مشهد الاستخدام ضمن نظام معيّن مبني ومفروض من قبل الآخـرين، ومـا يميّز الحياة اليومية هو الإبداع الذي يستجيب لذلك الظرف (دي سيرتو فـي هـايمور، 2002)، وهذا الإبداع يتعلق بأنماط العمل التي تميّز المستخدمين (دي سـيرتو، 1984). ويضـيف دي سيرتو أنه مقابل وجود أنظمة السيطرة والتي تعتبر نظما إنتاجية يعبّر عنها مفهوم البنى والهياكل

الاجتماعية، يوجد أنظمة استهلاك. لأن نظام السيطرة ينتج إنتاجه لجماعات تستهلك إنتاجه، إذن الاستهلاك هو عبارة عن استخدام لمنتجات ينتجها الآخرون، فالاستهلاك عند دي سيرتو هو ابتداع الناس في حياتهم اليومية طرقا واعية للعمل من خلال ممارسة نشاطات مختلفة بهدف الاستجابة لنظم الإنتاج المفروضة عليهم تعبّر عن إمكانية استخدامهم لمنتجات تلك الأنظمة (دي سيرتو 1984).

وهنا فإن دي سيرتو يفصل بين ثنائيتي الانتاج والاستهلاك، فيعتبر بأن كل ثنائية قائمة لوحدها وغير متصلة بالأخرى، لكن الواقع يقول بأنه يوجد علاقة متداخلة بينهما، لأن القوى المسيطرة في المجتمع هي المنتجة للنظم الانتاجية وهي عند دي سيرتو أنظمة السيطرة، وفي نفس الوقت لا بد من المنتجين ان يستخدموا تلك الأنظمة. ومع ذلك فإن شبكة العلاقات التي تربط ثنائيتي الانتاج/ الاستهلاك هي شبكة معقدة ومتداخلة، وبالتالي لا يمكن وضع فواصل ثابتة او نهائية بين الطرفين، فالعلاقة رغم أنها تخضع لآليات السيطرة من الطرف الاقوى إلا أن ممارسة وسلوك الطرف الآخر تفعل فعلها وتؤدي إلى تغيير في العلاقات. فحتى في العلاقات الأسرية البسيطة عندما تقرّ الأم قانون عدم الأكل في غرفة النوم، فهي تفرض على الاولاد أنظمة يجب أن يتقيدوا بها، وفي نفس الوقت لا بدّ على الأم أن لا تأكل أيضا في غرفة النوم وإلاّ بطل القانون وتمرّد الاولاد. مع ملاحظة أساسية هنا وهي أن آليات المنع في داخل الإطار الاجتماعي تختلف عنها عندما يجري الحديث عن قوة احتلالية خارجية مثل الدولة الصهيونية، ففي الحالة الاولى نتحدث عن نوع من نظام يخضع له الجميع، اما في الحالة الثانية نتحدث عن آليات إخضاع طرف قوي لطرف ضعيف بالكامل، وبالتالي فإن تكتيكات المقاومة تختلف جوهريا.

ويصف دي سيرتو الاستهلاك بأنه مخادع ويذهب إلى كل مكان لكن بهدوء وبخفاء لأنه لا يُظهر نفسه من خلال إنتاجه وإنما من خلال طرق استخدام الإنتاج المفروضة عليه من قبل النظام المهيمن. ولهذا فعند دراسة الحياة اليومية لا بد من تحليل كيفية تلاعب المستخدمين لنظم الإنتاج (دي سيرتو، 1984). ففي حالة النساء الفلسطينيات، يحاول الاحتلال الصهيوني عبر آليات سيطرته السياسية العسكرية والاقتصادية وتحكّمه بمختلف شؤون حياة الفلسطينيين اليومية أن يفرض نمطا معينا على الفلسطينيين بحيث يكيّفوا سلوكهم بما يخدم سياساته، بينما يجد الفلسطينيون وفي بحثنا النساء اللواتي يعبرن إلى مدينة القدس المحتلة في الخفاء، فرصا لكسر هذه النظم التي لا تستجيب للحد الأدنى من متطلباتهن.

ويسمي دي سيرتو طرق استخدام الإنتاج بإجراءات الاستهلاك والتي تعني ممارسة نشاطات واعية ومتعددة، حيث يقوم المستخدمون بعمل تحولات في النظام المهيمن ليتكيفوا وفقا لمصالحهم الخاصة، بهدف البقاء في نهاية المطاف (دي سيرتو، 1984). وبكلمات أخرى يلجؤون لسلوكيات تكون ضمن النظام العام لكنها في نفس الوقت تستجيب لمصالحهم وتتحول مع الزمن إلى إنتاج جديد. فانطلاقا من مقاربة دي سيرتو حول علاقة الانتاج بالاستهلاك، كيف تتصرف النساء الفلسطينيات تجاه واقعهن من أجل تطوير آليات بقائهن وتحقيق مصالحهن رغم وجود نظام السيطرة الصهيوني؟

ويضيف دي سيرتو بأن إجراءات الاستهلاك ترتبط معا بنوع من اللغة الإلزامية كما يرتبط أداؤها بالمواقف الاجتماعية وعلاقات القوة وبالتالي فإن المستهلكين ليسوا بطبقة متجانسة، وبهذا فإن فن الاستهلاك يتحدد ضمنا للبيئة التي يمارس المستخدمون فيها فنّهم. فنظام الإنتاج يؤثر في شبكة المستهلكين والمساحات المختلفة للمناورة تُترك للمستهلكين (دي سيرتو، 1984). فكل

فرد يستخدم الواقع بطريقته الخاصة بناءً على وضعه وإمكانياته وخبرته وشخصيته، وهنا يمكن أن نكشف طرق تعامل الأفراد مع ظروفهم وكيفية تحويرهم لواقعهم بهدف تدبيرهم لأمورهم في النهاية. فبنفس المعنى لا بد وأن تتعامل النساء الفلسطينيات مع ظروفهن بطرق متباينة، فاختلاف العمر او مكان السكن او البيئة او نوع العمل بين النساء لا بد وان يُظهر تلك الاختلافات.

وطرق الاستهلاك تفتقر وجود فكر او مدرسة معينة تقود تحركاتها وأفعالها، لكن في نفس الوقت تتوافق تبعا لقواعد معينة وهذا يحيلنا للحديث عن أنماط استهلاكية تمثل فنون خلاّقة، أي طريقة تفكير يتم استثمارها في طريقة فعل، تقصد مناهضة الانضباط للنظام المفروض، وهذا يحيلنا إلى الحديث عن البنية الشكلية للممارسة (دي سيرتو 1984).

ويضيف دي سيرتو بأن الأفراد ينتجون عبر ممارساتهم مسارات غير مباشرة او منحرفة تطيع منطقها الخاص، ومع أنها تتشكل وتخضع لنظم الإنتاج إلا انه لا يمكن التنبؤ بها (دي سيرتو 1984). فالمسار يتحرك ضمن نسق معين ليعطي منطقا ومعنى لممارسة الأفعال، وهذه المسارات يمكن أن تكون إستراتيجية او تكتيكية (المصدر السابق).

فالاستراتيجية عند دي سيرتو تعبّر عن العلاقة بين السلطة والمكان، واول ما تبحث إليه هو تمييز مكانها الملائم لتصبح عبارة عن كيان ومنظومة سلوك تجسّد السلطة وفرض وضعية او حالة للهيمنة (المصدر السابق). بهذا المعنى تنقسم الاستراتيجية إلى قسمين: فقد تكون فيزيائية مثل المكاتب والقيادة العامة، او ما تنتجه تلك المكاتب مثل القوانين، اللغة، الطقوس، الأدب، الفن، والخطاب... وتعتبر عدم المرونة من سمات الاستراتيجية لأنها مجسدة من خلال طقسها الخاص ومكانتها، ولأنها ترتبط بثبات السلطة وتكريسها، وبالتالي تحدد إمكانيات تصرفات الناس

وتضبطهم (المصدر السابق). إذن هدف الاستراتيجية هو إدامة السيطرة من خلال المؤسسات والنظم والثقافة التي تقوم بنشرها، وهي أيضا سيطرة للمكان من خلال الرؤية فالقدرة على الرؤية فيها نوع من المراقبة والتي تعني السيطرة (المصدر السابق).

اما التكتيكات فتصف ردود فعل وسلوك الأفراد او الجماعات الذين لا يستطيعون او لا يملكون القوة لمواجهة تلك الاستراتيجية لكنهم يجدون فاعليتهم في لحظات معينة من خلال الالتفاف على تلك الاستراتيجية وتخطيها بطرق غير مباشرة وأحيانا عبر تحدّيها باختراق تفاصيلها، وبمعنى آخر يخلقون مساحة لأنفسهم في بيئة محددة بالاستراتيجيات بحيث لا تكون فاعليتهم ثابتة وإنما متحركة ومرنة إلى أقصى الحدود (دي سيرتو 1984). وبهذا فإن التكتيك يعتمد على الوقت، فهو دائما ينتظر الفرص ليتمكن من استخدامها، وحتى عند الانتصار فالتكتيكات لا تبقى ثابتة، بل تتفاعل وتتلاعب مع الأحداث والوقت بهدف تحويلها إلى فرص يمكن انتهازها. وبهذا المعنى لا تنحصر التكتيكات في النشاطات التي يقوم بها الأفراد وإنما أيضا المعاني التي ينتجونها في سياقات الممارسة المتواصلة، الأمر الذي يعطي لتكتيكاتهم أبعادا دينامية وقوة فعل إيجابية (دي سيرتو، 1984). وبهذا المعنى سيحاول البحث متابعة واستكشاف ردود فعل النساء من خلال عمليات العبور الخفي واختراق منظومة السيطرة التي يمثلها جدار الفصل العنصري والحواجز العسكرية بهدف الوصول إلى مدينة القدس المحتلة، وملاحظة تأثيرات وتفاعل هذه الممارسة على وعي وسلوك النساء وعلاقاتهن الاجتماعية.

ما يريد قوله دي سيرتو أن اي نظام لا بد وأن يتخلله ثغرات، وكيفية استغلال الثغرات من قبل الأفراد تعطيهم مساحة للتحرر من قيود النظام المفروضة عليهم، ولكن بدون التحرر من النظام نفسه، فبفضل إكراهات النظام يتحرك الأفراد لاستغلال ثغراته بذكاء (ماشري، 2005/2004).

ووفقا لهايمور تُعتبر أشكال المقاومة المتعددة التي يلجأ اليها الافراد من ملامح الحياة اليومية، وهي محاولة لفهم طرق ممارسات الافراد اليومية، وكيفية استخدام الانتاج المفروض عليهم من قبل النظام الاقتصادي المهيمن (هايمور، 2002). ولكن ليلى ابو لغد تنتقد رومانسية المقاومة أي قراءة كل أنواع المقاومة على أنها إشارات على عدم فعالية نظام السيطرة او أنها إبداع الانسان الذي يرفض السيطرة، ولهذا فهي تقترح استخدام المقاومة كأداة تشخيصية للقوة، أي عند دراسة ممارسات المقاومة لا بدّ وان تعلمنا عن هيكليات القوة والتغيير التاريخي الذي يحدث لأنظمة السيطرة المتداخلة والمعقدة (ابو لغد، 1990)، فمن خلال ممارسات النساء في العبور الخفي يمكن أن نفهم بنى السيطرة التي يفرضها الاستعمار الصهيوني عن طريق تحديد حرية الحركة، فالمقاومة ليست فعلا يخرج عن إطار القوة، بل تكون بنى القوة وأساليب المقاومة مرتبطتين معا. وفي حالتنا الدراسية سنحاول استكشاف الأساليب التي تستخدمها النساء الفلسطينيات لنرى كيفية بروز الإبداع الذي يخلقنه بالإضافة إلى تسليط الضوء على نظام السيطرة الصهيوني ومعرفة ثغراته.

2) المقاومة

المقاومة اليومية

يعتبر جيمز سكوت (1985)، وعاصف بيات (2010) من أهم المنظرين الذين تعاملوا مع موضوع المقاومة اليومية، ولهذا سنتطرق إلى مفاصل رؤيتهما حول الموضوع لنرى كيفية استخدام النظريات في البحث قيد الدراسة بالإضافة إلى الكشف عن كيفية مساهمة حالة الدراسة في المناقشة النظرية التي تدور حول مفهوم المقاومة.

درس سكوت مقاومة الفلاحين لمالكي الأراضي في ماليزيا في كتابه "The Weapons of the weak: Everyday Forms of Peasant Resistance" (سكوت، 1985)، فظهرت المقاومة عنده بوجود علاقات القوى غير المتوازنة، أي بوجود الحاكم المسيطر والمحكوم الخاضع. حيث يرى سكوت بأن بنى السيطرة التي تتمثل بالحاكم تتحرك بطرق متشابهة، فيسعى الحاكم للحفاظ على السيطرة الفعلية وتوسيعها واضعا نصب عينيه هدف الاستيلاء، وبذلك تكون العلاقة وثيقة بين الهيمنة والاستيلاء (المصدر السابق)، وهذا يتقاطع مع تنظير دي سيرتو حول مفهوم الاستراتيجية، لأن الاستراتيجية عند دي سيرتو هدفها إدامة السيطرة (دي سيرتو، 1984). فيؤكد سكوت على استحالة الفصل بين رمزية الإخضاع وعملية الإستغلال المادي (سكوت، 1995). وبالنسبة للمحكومين فمن المستحيل أن تُفصَل مقاومة السيطرة عن مقاومتهم العملية للحاكم لمنع الاستغلال او لتخفيفه. فالخضوع الدائم والمنتظم للمحكومين يشعرهم بالضغط نتيجة عدم قدرتهم على الرد على الحاكم، وبالتالي تصبح ردّات الفعل التي يعبّروا عنها بمثابة أنماط مقاومة، والتي تتمثل بالتخطيط وفعل ممارسات مختلفة تهدف للرد لذلك الاستيلاء، أي أن المقاومة تُعتبر عملا سياسيا له منطق، بحيث يكون شكل تنظيم العمل ناتجا عن الضرورة وليس خيارا سياسيا (سكوت، 1995). وهذا الطرح يتقاطع مع تنظير دي سيرتو، بأن طرق الاستهلاك الفردية تتحول إلى أنماط استخدام متشابهة تعبّر عن فن منطقي خلّاق لمقاومة القوة المسيطرة (دي سيرتو، 1984).

ويصوّر سكوت مقاومة الضعفاء بأنها التراث المخفي ويسميها أيضا السياسة التحتية، فيعبّر عن المقاومة بعدد من الآليات الواقعية والخفية والتي يخلقها الضعفاء هادفين إلى التقليل من الاستياء الذي ينتابهم (سكوت، 1995). فالسياسة التحتية هي النضال السياسي الهادئ، فهي خفية وذلك

عن قصد، فالجماعات المحكومة تخاف المجازفة بأن تعبّر عن رأيها علنيا بسبب إدراك الضعفاء بوجود الاختلال في موازين القوى (المصدر السابق)، إذن يركز سكوت على قضية عـــدم إدراك القوي لمقاومة الضعفاء. فالحاكم أيضا يلجأ إلى عمـــل اســـتراتيجيات بهـــدف تخفيـــف حقـــد المحكومين، فقد ينظم الحاكم حفلات للمحكومين يقدم من خلالها امورا مادية ومعنوية للتخفيـــف من درجة الاستياء التي وصلوا اليها، لتؤثر بشكل ايجابي على حقدهم واستيائهم بهـــدف إبعـــاد ردّات الفعل السلبية من قبلهم (المصدر السابق). فالتقليل من الاجراءات القمعية الصهيونية فـــي فترات معينة يأتي عن قصد، بهدف التخفيف من الاستياء والضغط الذي يشعر به الفلســـطينيون، ولمنع الانفجار، وفي هذا السياق يمكن فهم أبعاد وأهداف السياسة التـــي تبـــادر اليهـــا ســـلطات الاحتلال الصهيوني بين وقت وآخر تحت عنوان تحسين ظروف حياة الســـكان الفلســـطينيين او تقديم بعض التسهيلات في الحركة او منح التصاريح، غير أن هذه الممارسات لا تغيّر من جوهر النظام القمعي الصهيوني. يصوّر سكوت جميع الضعفاء بأنهم مقاومون لنظم الســـيطرة التـــي تسيطر عليهم، كما صور بورديو جميع الافراد في حالة صراع للوصول إلى مراتب مرموقة (بورديو، 1977)، لكن كما ذكرت فإن المقاومة أيضا تحتاج إلى ظروف معينة لإبرازها مثـــل الشخصية، العمر، البيئة وغيرها، فهناك ملايين الاشخاص المستسلمين والراضـــخين، ومجـــرد التفكير في المقاومة يخيفهم. فمبادرات المقاومة الواعية ليست بالأمر السهل، فمعظم الأفـــراد لا يحبذون البدء في عمل مغاير خوفا من النتائج المترتبة على ذلك العمل.

ويضيف سكوت بأن أفعال المقاومة والنقاشات التي تدور بشأنها بين المحكومين تتّصـــف بـــدعم بعضها البعض، وممارسات المقاومة ضمنيا تعني الحق بالنسبة للمحكومين، لكن التعبير عن هذا الحق عن طريق المواجهة القانونية والعلنية يعتبر خطرا بوجه عـــام، لأن خســـارتهم الكبيـــرة

ستكون النتيجة بلا شك، لذلك اختاروا ممارسة حقوقهم بهدوء (سكوت، 1995). وهـذا يعنـي الاستيلاء في الواقع على الحقوق التي حُرموا منها في القانون، فالمقاومة اليومية الخفيـة وفـي اثناء الليل تأتي تأكيدا على تلك الحقوق، وتراكمها يمكن أن يؤدي إلى تأثيرات اقتصادية وسياسية كبيرة (سكوت، 1995).

وفكرة سكوت حول تراكم المقاومة التي تؤدي إلى تأثيرات سياسية واقتصادية كبيرة تتعارض مع رأي دي سيرتو، لأن دي سيرتو يعتقد بأن تخطي الضعفاء لاستراتيجيات الهيمنة، لا يمكـن أن يُبطل فعل السيطرة، وإنما يتحرك ضمن مساحة صغيرة في ظل النظام المسيطر، فالفعل عبـارة عن انتهاز فرصة معينة قد لا يستطيع الفرد فعله في المرات القادمة (دي سيرتو، 1984). وفي حالتنا الدراسية سأتفق مع دي سيرتو، لأن النساء الفلسطينيات يخترقن اسـتراتيجيات الاحـتلال الصهيوني دون تحقيق إنجازات سياسية مباشرة، لكن آليات السيطرة الصهيونية هي التي تختلف تبعا لتغير أساليب المقاومة. فعلى سبيل المثال تدّعي اسرائيل بأن بناء جدار الفصل العنصـري هو بسبب تعدد العمليات الاستشهادية الفلسطينية التي نُفّذت ضد الاسرائيليين، غير أن الجدار لـم يمنع من دخول الاستشهاديين إلى "اسرائيل"، وهنا نلاحظ أن محاولات اختراق الجدار تتم أحيانا بوعي وتخطيط، وفي أحيان أخرى تتم بهدف العبور إلى مدينة القدس المحتلة بهدف إيجاد فرص العمل، وليس بهدف المقاومة وإنما الالتفاف على آليات واستراتيجيات المنع. ففي حالة التخطيط والوعي فإن الحالة ستستجيب مع رؤية سكوت، اما في الحالة الثانية فإنها ستقترب من تفكير دي سيرتو.

اما عاصف بيات فيقول بأنه يوجد تشويش بين الكتّاب حول مفهوم المقاومة، فهـو يفـرّق بـين إدراك الفرد للسيطرة المفروضة على الذات ونشاطات المقاومة التي تُمارَس ضد تلك السـيطرة

(بيات، 2010)، فمثلا المرأة التي تدرك بأن زوجها يسيطر عليها وتغني اغنية تضحك فيها على الرجل، فإن فعلها لا يعتبر مقاومة ضد الذكورية. فالعلاقة بين الوعي والنشـاطات مهمـة فـي العلوم الاجتماعية (بيات، 2010). فبيات يعتقد بأن المعضلة لا تكمن في تسمية الافعال مقاومة او غير مقاومة، وفي نفس الوقت ليست جميع الأفعال يمكن أن ندعوها مقاومة، فمـن المهـم أن نفرّق بين الافعال المقصودة وغير المقصودة، وأن نفرّق إذا كانت أفعـالا فرديـة او جماعيـة. وللخروج من هذا المأزق طوّر بيات مصطلح التجاوزات الهادئة Quiet Encroachment of the Ordinary (بيات، 2010)، فالتجاوزات الهادئة تلخّص طرقا حذرة وسرية، تناضل مـن خلالها المجموعات الثانوية وخاصة الفقراء والنساء المسلمات والشباب من أجل البقاء ولتحسـين اوضاع معيشتهم، وذلك من خلال التأثير على ذوي الاملاك وأصحاب القـوة (بيـات، 2010). فيعبّر عن التجاوزات الهادئة الممارسات اليومية للناس العاديين الذين يكتشفون ويخلقون مساحات جديدة يستطيعون من خلالها التعبير عن معارضتهم للوضع الراهن بهدف تحسين حياتهم (بيات، 2010). وهذه التجاوزات الهادئة ينتج عنها مفهوم اللاحركات الاجتماعية والذي يعنـي الفعـل الجمعي الناتج عن فاعلين متفرقين والذي يكتسب نمطا معينا مع مرور الزمن (بيـات، 2010). ويضيف بيات بأن هذه النضالات هي ليست دفاعية وليست مقاومة فعلية لكنهـا تتـراكم، وهـذا التراكم يمكن أن يؤدي إلى نتائج ايجابية (بيات، 2010).

وقد تكون المقاومة علنية او خفية واستخدام أي نوع يعتمد علـى مـوازين القـوى (سـكوت، 1995)، ويعتمد أيضا على النتائج (حمامي، 2005). حيث تؤكد ريما حمامي عنـدما درسـت كيفية تأثير الحواجز على حياة الفلسطينيين بأن الفلسطينيين استخدموا في البداية المقاومة العلنيـة عند خروجهم في مظاهرات منددة للحاجز، لكن عندما أدركوا فشل المقاومة العلنية مـن إزاحـة

الحاجز، لجاوا إلى تكتيكات خفية مثل ايجاد طرق التفافية او إزاحة قطع الاسمنت الكبيرة في الليل، لتتمكن عرباتهم من المرور بيسر في النهار، ليؤكدوا على حقهم في المرور من مكان إلى مكان آخر بحرية وبدون عوائق (حمامي، 2005). فالفلسطينيون يعلمون بأنهم الضعفاء، لكنهم استخدموا المقاومة العلنية ليتأكدوا من نتيجتها. فعلاقة الحاكم بالمحكوم تتسم بوجود حدود، وهذه الحدود لا يمكن معرفتها إلا في إطار عملية اختبارية من المحاولات والفحص (سكوت، 1995). فكل طرف يحاول معرفة الحدود عن طريق إحداث فعل ما وكيفية استجابة الطرف الآخر هي التي توضّح معالم تلك الحدود، فإذا تكرّس فعل ما يصبح تقليدا، وهذا التقليد اذا استمرت ممارسته يتحول إلى حق قانوني، وبالتالي تصبح العلاقة بين النخب المسيطرة والمحكومين هي علاقة صراع مادي يواصل فيه الطرفان البحث باستمرار عن نقاط الضعف في الآخر واستغلال المزايا الصغيرة (سكوت، 1995).

تعريف المقاومة

يمكن تعريف المقاومة بشكل عام على أنها الاعتراض على قوة ما (هوجان، 2008) والعمل على التغيير. اما هايمور فقد بيّن بأن مقاومة دي سيرتو والتي تتمثل في ردود الفعل التلقائية في مواجهة آليات وتنظيم السيطرة هي ليست معارضة، لأنه أظهر بأن المقاومة في الحياة اليومية هي محافظة بالإضافة إلى خلق شيء جديد، فهي ليست انقلابا على القوة وإنما تقدم رواية مختلفة حول القوة (هايمور، 2002). وفي هذا السياق فإن المقاومة هي معارضة بغض النظر إن كانت معارضة كلية او معارضة جزئية. فالفرد الذي يقاوم يعني أنه معترض على قوة ما، ويحاول قدر الإمكان تغيير الوضع القائم، فإذا استطاع أن يغير الوضع القائم كليا كان به، واذا لم يستطع سيغيره جزئيا، وهذا يعني المحافظة على الأمور الأخرى كما هي. اما سكوت فيعرّف

المقاومة بأنها ردات فعل الضعفاء الهادئة وغير المرئية وذلك عن قصد لأنها تعتبر خيارا تكتيكيا ينبع من وعي حذر لتوازن القوى (سكوت، 1995). وهذا يعني أن سكوت لا يهتم اذا ما أدرك القوي مقاومة الضعيف أم لا، لكنه يهتم بوعي الضعيف أفعال المقاومة التي يمارسها. وبذلك فإن سكوت يشترط أن تكون الافعال مقصودة وواعية اذا اردنا تسميتها مقاومة. أي ان المقاوم عند سكوت يجب أن يفكر في مقاومة أنظمة السيطرة التي تحيطه في عقله قبل أن يمارس نشاطاته، فالمقاوم يدرك ويعي ويقصد أنه يقاوم منذ البداية. وبالتالي فإن سكوت يتحدث عن معارضة الضعيف للواقع الذي يعيش فيه، وبسبب تلك المعارضة يفعل أفعالا لتغيير ذلك الواقع. لكن عاصف بيات يرى المقاومة بصورة مختلفة، فهو ينتقد سكوت عندما يشترط ظهور القصد في أفعال المقاومة، لأنه يعتقد بوجود أفراد كثيرين يفعلون أعمالا لا تقصد المقاومة لكن نتيجتها تكون جيدة، فالفقير الذي يعيش في القاهرة او في ايران ولا تصله الكهرباء، فإنه يعمل على تأمين كهربائه من الخط العام، فهو بذلك يغيّر من حياته فيحسن من مستوى معيشته مع أنه لا يفكر أبدا بالمقاومة، وهذا النمط يمكن أن يتحول إلى عمل جماعي (بيات، 2010).

استنادا لهذه المقاربات يمكن تعريف المقاومة على أنها الأفعال التي تعارض نظام السيطرة وتؤدي إلى تغيرات ملحوظة بغض النظر إن كانت الافعال تقصد المقاومة فعليا ام لا، وبغض النظر اذا ما أدرك القوي فعل هذه المقاومة أم لا.

وهذا يقودنا إلى تعريف الهروب والذي يعبّر عن عدم المقدرة على المقاومة. وهذا ما اوجدته لاورا جونكا عندما درست حياة الناس اليومية على شاطئ غزة، فقد ادعت جونكا بأن ذهاب الفلسطينيين إلى الشاطئ بحثا عن التسلية والمرح هو نوع من الهروب ولا يعتبر مقاومة أبدا، لأن الفلسطينيين أرادوا أن يهربوا من واقعهم الاليم لعدم توفر إمكانيات المقاومة المباشرة لديهم،

وبذلك فقد هربوا من النضال والقتال ولجاوا إلى الشاطئ لعدم توفر الميكانزمات والادوات التي تعطيهم شعورا بالفاعلية (جونكا، 2006). اما دراسة صوفي ريختر ديفرو فقد اعتبرت بأن ممارسات النساء الفلسطينيات عندما يذهبن إلى الرحلات الترفيهية، انما هي ممارسات مقاومة سياسية (ريختر ديفرو، 2009)، وفي هذا البحث سنحاول فحص النشاطات التي تقوم بها النساء لإنجاح عملية العبور الخفي، وفي سياق الاستكشاف سنرى فيما اذا كانت هذه الممارسات تعتبر مقاومة للاحتلال ولثقافة وهيمنة المجتمع الذكوري في المجتمع الفلسطيني.

وهنا يجب التفريق بين مفهومي التكيّف والمقاومة، فالتكيف يختلف عن المقاومة لأنه يعني التعامل مع الظروف المحيطة كما هي من أجل البقاء، اما مصطلح التكيّف المقاوم الذي طوره كل من المالكي وشلبي ولدادوة وعرّفوه بأنه عبارة عن "كافة التدابير والافعال التكيفية التي تمكّن المجتمع الفلسطيني من الاستمرار بالصمود والمحافظة على بقائه" (المالكي وآخرون، 2004، صفحة 11). لكن سمة التكيف المقاوم خصصت للشعب الفلسطيني لأن تدابيره تأتي كردات فعل على سياسة اسرائيل الهادفة إلى اقتلاع الشعب الفلسطيني من أرضه او إخضاعه سياسيا، فبما أن الأفعال التكيفية الفلسطينية تمنع او تقلل من تحقيق أهداف اسرائيل السياسية، لهذا يمكن أن نسمي ممارسات الفلسطينيين بالتكيفية المقاومة (المالكي وآخرون، 2004). فيقصد الباحثون من رؤيتهم للمصطلح بأن التكيف المقاوم هو وبصورة أساسية ممارسة واعية، تأتي على قاعدة وعي بأهداف الطرف الآخر ومحاولة مواجهتها والتقليل من آثارها. فهل تعي النساء الفلسطينيات بأهداف الطرف الآخر ويقصدن المقاومة عن طريق العبور إلى مدينة القدس المحتلة ورفض حالة المنع ومحاولة تخطّي الواقع القائم؟

مقاومة الاحتلال الصهيوني:

استخدم الاحتلال الصهيوني طرقا مختلفة بغرض تعقيد حياة الفلسطينيين اليومية او تشـــريدهم او سلب فاعليتهم. فالاحتلال الصهيوني يريد الشعب الفلسطيني خاملا متقوقعا خاليا مـــن الفاعليـــة بهدف استدامة السيطرة والتحكم والنفوذ. ففاعلية الضعفاء يمكن أن تعطيهم قوة، والقوة يمكن أن تلعب دورا مهما في زعزعة السيطرة او الانتصار عليها. ولهذا فإن هدف الاحتلال الصـــهيوني هو سلب الفاعلية من الفلسطينيين عن طريق ممارسة أساليب قهرية مذلة مختلفة. وكمـــا يقـــول فوكو أينما يوجد قوة يوجد مقاومة مقابلها (فوكو في ابو لغد، 1990)، فلأن الاحتلال الصهيوني بقوته يفرض سيطرة ملحوظة على الشعب الفلسطيني، تصبح المقاومة واجبا وطنيا وليس خيارا عند الفلسطينيين. وعند الحديث عن المقاومة الفلسطينية لا بد و أن نتطرق إلى الاسئلة التالية:

ما هي أساليب الاحتلال الصهيونية القهرية، وكيف تؤثر على الفلسطينيين؟

وما هي أشكال المقاومة الفلسطينية التي تُعتبر الرد على أساليب الاحتلال القمعية؟

أساليب الاحتلال الصهيوني القمعية:

يُعتبر نظام الهيمنة الصهيوني الذي تم بعد عام 1967، أي بعد احتلال الضفة الغربيـــة وقطـــاع غزة امتدادا للمشروع الصهيوني في فلسطين (تراكـــي، 2008) والـــذي يهـــدف إلـــى اقـــتلاع الفلسطينيين وطردهم للاستيلاء على أرضهم وإخضاعهم سياسيا (المـــالكي وآخـــرون، 2004). ومن مظاهر هذه السياسات فرض منع التجوال، الحصـــار، الاغـــلاق، الاعتقـــالات، والجـــدار والحواجز والمستعمرات وغيرها (ابو نحلة، 2008). وبسبب تقاطع الحالة الدراسية مع سياسة الجدار فسيتم التركيز على هذا الجانب.

بدأ الاحتلال الصهيوني ببناء الجدار باعتباره مشروعا سياسيا ضخما عام 2002 (جمعة، 2004)، ليكون بمثابة الحدود السياسية الفاصلة بين الدولة الصهيونية والأراضي الفلسطينية المحتلة (اسحق وآخرون، 2006). والجدار له شكلان أساسيان، الاول يتكون من طبقتي سياج صلبة، يتراوح عرضها بين 40 و100 مترا، بالإضافة إلى الخنادق والاسلاك الشائكة والطرق الترابية التي تكشف آثار الاقدام، وسياج معدني كهربائي يحوي كاميرات الكترونية للرقابة، وهذا الشكل يوجد عادة في المناطق غير العمرانية (اسحق وآخرون، 2006). اما البنية الأخرى التي توجد في المناطق العمرانية والقريبة من الخط الاخضر فهي عبارة عن قواطع اسمنتية يتراوح عرضها بين 30- 40 مترا، وارتفاع بين 6-8 امتارا، حيث تتخلله أبراج عسكرية يبعد الواحد عن الآخر مسافة 250 مترا، وظيفتها المراقبة (اسحق وآخرون، 2006). وآخر تعديل طرأ على مسار الجدار من قِبل الحكومة الاسرائيلية وضّح أن طول الجدار الكلي سيبلغ 774 كيلومترا (معهد الابحاث التطبيقية أريج). اما على أرض الواقع ووفقا لآخر تحديث صدر عن معهد الابحاث التطبيقية فهو يوضح الحقائق التالية:

جدار الفصل العنصري	الطول (كم)	النسبة المئوية من الطول الكلي للجدار
جدار قائم	479	%61.9
جدار قيد الانشاء	58	%7.5
جدار مخطط اقامته	237	%30.6
الطول الكلي للجدار	774	%100

وبناءً على المعلومات أعلاه فإن هدف بناء الجدار هو منع الفلسطينيين من دخول الدولة الصهيونية ومدينة القدس المحتلة بدون إذن من السلطات الإسرائيلية. فالتصاريح المعطاة من قبل الإسرائيليين للفلسطينيين تمكّنهم من المرور عبر المعابر والحواجز التي تفصل الضفة

الغربية عن إسرائيل، حيث تصدر اسرائيل أنواعا مختلفة من التصاريح تتضمن تصاريح التجار والعمال والطلاب، والتصاريح الطبية، وتصاريح الموظفين والتصاريح الدينية وغيرها. وعملية الحصول على تلك التصاريح هي قصة بحد ذاتها، فالتصاريح تُعطى لشرائح معينة ضمن شروط معينة بناءً على العمر، العمل، وأهمها الاعتبارات الامنية، وبذلك فـإن معظـم الفلسـطينيين لا يستطيعون الحصول على التصاريح التي تمكنهم من العبور إلى الجهة الأخرى.

ومع ذلك فإن عملية المرور حتى مع وجود التصاريح تبقى عمليـة مذلـة ومهينـة، ذلـك أن الفلسطينيين الذين يحملون تصاريح العبور يجب أن يرضخوا لاوامـر الجنـود واسـتفزازاتهم وإهاناتهم وأمزجتهم كي يتمكنوا من تحقيق الهدف المنشود (عاصلة، 2011). وبالتـالي فـإن إسرائيل تسيطر على عملية الدخول والخروج عبر جدار الفصل، وترسيخ تحكمها بهذه العمليـة وكأنها بديهية. فشريحة قليلة من الأفراد فقط تستطيع المرور عبر معابر الجدار، وبالتالي تتمكن السلطات الاسرائيلية من مراقبة الداخل والخارج عبره. وبالإضافة إلـى هـدف تقييـد حركـة الفلسطينيين وترسيخ وإدامة السيطرة على حركتهم، فإن غاية بناء الجدار هـو السـيطرة علـى مصادر المياه وسلب أراض فلسطينية أكثر لأن مسار بناء الجدار تجاوز حدود الخط الاخضـر. وتقييد الحركة يمنع الفلسطينيين من ممارسة نشاطاتهم اليومية بصورة طبيعية. فقد أثّـر بنـاء الجدار على وصول الفلسطينيين إلى اماكن عملهم، واماكن تعليمهم واماكن علاجهم بالإضـافة إلى تقطيع اوصال العلاقات الاجتماعية (عاصلة، 2011).

وبناءً على ما تقدم يمكن اعتبار الجدار استراتيجية باعتباره مكانا ماديا ينتشر في منـاطق عـدة ليجسّد فرض السلطة الاحتلالية لأنه يضبط تحركات الافراد ويقيدها (دي سيرتو، 1984).

مراجعة الأدبيات الامبيريقية

مقاومة الفلسطينيين لسياسات الاحتلال الصهيوني:

يمثل تاريخ الشعب الفلسطيني مقاومة شعب سُلبت منه أرضه وكرامته، ولاسترجاع تلك الحقوق قاوم الفلسطينيون الاحتلال الصهيوني بشتى الطرق المتاحة لديهم، فقد قاوموهم باستخدام الكفاح المسلح، وباستخدام المقاومة الشعبية (مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2008). وبعد استعراض الأدبيات السابقة التي تركز على المقاومة الفلسطينية يمكننا تقسيم مقاومة الشعب الفلسطيني للاحتلال الصهيوني إلى قسمين: مقاومة احتلال مادية ومقاومة أخرى فكرية ثقافية.

مقاومة الاحتلال الصهيوني المادية:

تعني المقاومة المادية مواجهة استراتيجيات الاحتلال الصهيوني سواء كانت وجها لوجه مثل العمل المسلح او المظاهرات والمسيرات، او كانت عبر اختراق الحواجز المادية وقرارات واوامر المنع التي خلقها الاحتلال الصهيوني والوصول إلى جهة اسرائيل او إلى حقول واراضي الفلسطينيين. ويعتبر الجدار والحواجز من أهم الآليات المادية التي يستخدمها الاحتلال الصهيوني لتمنع وتعيق الفلسطينيين عن الحركة، ولكي يصل الفلسطينيون من مكان لآخر حيث توجد تلك العوائق، فإن الفلسطينيين يحاولون تجاوزها بمختلف الوسائل.

وأدبيات المقاومة المادية سلطت الضوء على فكرتين، الاولى هي عدم تغيّر او عدم انتهاء الاحتلال الصهيوني بالرغم من قدرة الفلسطينيين على مقاومته المادية (حمامي، 2005)، اما النقطة الثانية فركزت على فكرة الحنين الذي يشعره الفلسطينيون تجاه مكان عملهم (بونتو،2011).

لقد وصفت ريما حمامي كيفية مقاومة الفلسطينيين لحاجز سردا عبر استخدامهم لطرق التفافية تمكّنهم من العبور دون الاصطدام بالحاجز، او عن طريق تحريك القطع الاسمنتية التي وضعت على الحاجز في الخفاء (حمامي، 2006). فتكتيكات مقاومة الفلسطينيين المادية للاحتلال بعبورهم الحاجز لم تنهِ الاحتلال ولم تغيّر من طبيعته القمعية وهذا الوصف يتفق مع رأي دي سيرتو، لكن أساليب السيطرة الصهيونية هي التي تتغير كما يتغير معنى تلك الاساليب أيضا بالنسبة للضعفاء. فعندما ضيّق الاسرائيليون الخناق على الفلسطينيين، اضطر الفلسطينيون للمرور من حاجز سردا اذا ارادوا الحركة من مكان لآخر، فمعنى الحاجز هو الذي تغير بالنسبة للفلسطينيين (حمامي، 2006)، وعند مناقشة المقاومة الفكرية سنتطرق بصورة اوسع لفكرة حمامي. وفي ذات السياق، سنناقش مسألة عبور النساء الفلسطينيات للحدود ومدى تأثير ذلك على معنى الاحتلال وأساليبه المتمثلة هنا بالجدار والحواجز.

ودراسة بونتو التي تسلط الضوء على تجربة العمال الفلسطينيين الذين يعبرون إلى اسرائيل في الخفاء، حيث وجدت بأن العمّال يقاومون الاحتلال ماديا ويخترقون الحواجز (بونتو، 2011). ويصف الكاتب في دراسته الحياة البائسة التي يعيشها العمال الفلسطينيون الذين يعيشون في اسرائيل بصورة غير قانونية، فهم ينامون في العمارات قيد الانشاء او تحت الشجر في الخلاء، ويستنتج بأن العمال الفلسطينيين عند عودتهم إلى منازلهم، يشعرون بالحنين إلى اماكن إقامتهم في اسرائيل مع أن الاوضاع فيها بائسة، ويحلل الكاتب هذا الشعور إلى الطريق المسدود الذي وصل اليه الفلسطينيون، فوضعهم بشكل عام يعتبر متناقضا (بونتو، 2011)، فهل إصرار النساء الفلسطينيات للوصول إلى مدينة القدس المحتلة بالرغم من المعاناة والمخاطرة التي يواجهنها يكون بسبب الشعور المتناقض الذي يشعرن به؟ أم ان النساء يفضلن العمل في مدينة القدس

المحتلة بسبب حصولهن على متعة شخصية؟ فهل تستطيع النساء الفلسطينيات خلق مجتمع مصغر في مدينة القدس المحتلة يختلف عن مجتمعهن الاصلي؟ وهل بانتقالهن من القرية او من المخيم إلى المدينة يؤدي إلى تشكيل هوية تختلف عن هويتهن في مجتمعهن؟ هذا ما سنحاول إظهاره.

مقاومة الاحتلال الصهيوني الفكرية:

يُقصد بالمقاومة الفكرية المحافظة على بقاء الامل في النفوس لبقاء الذات ولبقاء النسيج الاجتماعي سليما وقويا (ريختر ديفرو، 2009). فكيفية التعامل نفسيا وفكريا مع الاوضاع الصعبة التي تهدف إلى القمع، وكيف تبقى سمة التفاؤل في نفسيات المظلومين، وكيف يتدبرون امورهم؟ كل هذه الامور يمكن أن نسميها استراتيجيات فكرية او نفسية، يهدف الافراد إلى الحصول عليها.

انقسمت الأدبيات التي تعاملت مع مقاومة الاحتلال الفكرية إلى قسمين:

أدبيات تركز على أن مقاومة الاحتلال الفكرية يمكن أن تنتج قوة اجتماعية (جونسون،2007؛ ريختر ديفرو، 2009؛ جونسون، 2008؛ جين كلين، 2001). وأدبيات تهتم بتحويل المقاومة الفكرية إلى مقاومة احتلال مادية (حمامي، 2006).

اكتشفت بني جونسون في دراسة لها بأن سحر بطلة المخيم قد قاومت الاحتلال الصهيوني والمجتمع الذكوري بفكرها مما أنتج امرأة ذات شخصية قوية بالرغم من أنها تُعتبر ضحية الظروف الصعبة المحيطة بها: من لجوء وزواج مبكر ومسؤولية أطفال بالإضافة إلى معاناتها من أثقال الاحتلال الصهيوني. فبدلا من أن تُظهر سحر ضعفها عندما زُجّ زوجها في السجون

الاسرائيلية، أخذت على عاتقها مسؤولية دهن بيتها وتجديده، وبهذا فهي قاومت الاحتلال الصهيوني بفكرها. وسرّ سحر يكمن من تصريحها بقوة شخصيتها وليس بضعفها وهذا لأنها تعطي معانٍ وتفسيرات لحياتها وتجاربها، فاستخدمت سحر ممارسات تكتيكية تعود بالمنفعة إليها في النهاية، فوجدت جونسن أن ممارسات الضعيف قد تكون عبر التلاعب بالأحداث من خلال الكلام للاحتفاء بقوة داخلية بهدف الفوز بامتياز مؤقت على القوة المسيطرة (جونسون، 2007). فهل النساء الفلسطينيات بظروفهن الصعبة التي يعشنها يمكن أن تعود عليهن بالمنفعة الشخصية عن طريق تقوية شخصيتهن واعطائهن شعورا بالقوة؟ هذا ما سأتطرق اليه في بحثي.

كما أن دراسة ريختر ديفرو سلطت الضوء على نفس الموضوع، فقد صوّرت الباحثة ممارسات النساء الفلسطينيات في الذهاب إلى الرحلات على أنها مقاومة لاستراتيجيات الاحتلال الصهيوني من الناحية الفكرية (ريختر ديفرو، 2009). فهدف التجوال عند النساء كان لخلق حياة ملؤها الأمل والمرح والبهجة لأنفسهن ولعائلاتهن بالرغم من الدمار والإحباط والموت الذي يسببه الاحتلال الصهيوني. وهذه المقاومة الفكرية خلقت قوة عند النساء بتحديهن المجتمع الذكوري الذي يعشن في إطاره، هذا المجتمع الذي يحدّ من حرية حركتهن عن طريق خروجهن إلى تلك الرحلات (ريختر ديفرو، 2009). فماذا عن النساء الفلسطينيات اللواتي يعبرن خفيةً إلى مدينة القدس المحتلة، فهل بممارساتهن يتحدين المجتمع الذكوري، وكيف تتعامل النساء مع هذا المجتمع؟

وفي دراسة أخرى لبني جونسون حول ممارسات زواج القربى وعمل الاقرباء المتضامن فيما بينهم، تكشف الباحثة بأن تلك الممارسات تعتبر تحديا ومقاومة فكرية للمشروع الصهيوني بالإضافة إلى تشكيلها للهوية الفلسطينية (جونسون، 2008). فالزواج بقريب يعتبر خيارا تكتيكيا

واعيا يعبّر عن مشاعر يعتريها القلق العام، قلق نتيجة الصراع بين نظام كولونيالي يهيمن ويقتلع ويهدد الوجود الفلسطيني، وقلق نتيجة تناقضات الحكم الفلسطيني المحدود نسبيا، بالإضافة إلى خطر تفكك وتشتت العائلة والتفكك الاجتماعي، فيأتي هذا الزواج كتأكيد على تشكيل هوية فلسطينية مقاومة وقوة اجتماعية تعبّر عن التكافل والتماسك والتعاون العائلي (جونسون، 2008). وانا اتفق مع جونسون على ان النسيج الاجتماعي الذي يتم بناؤه عن طريق زواج القربى وعمل الاقرباء يهدف في العمق إلى تحدي الكولونيالية. لكنه في نفس الوقت يشكل في كثير من الاحيان عامل ضغط نفسي وخاصة من الناحية الاجتماعية، وخصوصا في القرى التي تشكل بيئة محافظة ومتداخلة حيث يعرف الجميع فيها بعضهم البعض. فوجود المرأة في بيئة يعرفها جميع من حولها تخلق حالة من السيطرة والرقابة الاجتماعية في كثير من الاحيان. فهل نستطيع اعتبار عبور النساء إلى مدينة القدس المحتلة في الخفاء هروبا من الضغط والسيطرة الاجتماعية؟

اما دراسة جين كلين فقد استخلصت أن الفلسطينيين علّقوا حياتهم اليومية في الانتفاضة الاولى، وقد كان هذا التعليق نوعا من المقاومة الفكرية، فقد اختصر الفلسطينيون حياة الترف والاستمتاع والراحة والتسلية وعملوا على ضبط النفس، وتجادل الكاتبة بأن هذه الممارسات مثّلت فاعلية اتّسمت بالوطنية والمقاومة (جين كلين، 2001). فقد كانت هذه طريقة عملية لإظهار الوعي السياسي، والالتزام الوطني، حيث استكمل هذا التعليق عبر صقل حركة تحرير وطنية، وقد عززت تلك الممارسات من دور الحيز العائلي الخاص الذي أثّر تأثيرا مهما على إنتاج روح فلسطينية وطنية مقاومة وقوية في ذات الوقت (جين كلين، 2001). فالفلسطينيون في زمن الانتفاضة الاولى قاوموا الاحتلال واضعين نصب أعينهم حلا سياسيا يحسّن من حياتهم اليومية.

ولذلك ناضلوا كمجموعة واحدة وبقوة موحدة نضالا مستمرا يأتي على حساب حياتهم اليومية، لاعتقادهم أن مظهر المقاومة وبشكل جماعي سيعطي العالم الخارجي فكرة أفضل عن القضية الفلسطينية بهدف الفوز بالتغيير الجذري. لكن بعد اتفاق اوسلو واستلام السلطة الفلسطينية مسؤولية حماية الشعب الفلسطيني والدفاع عنه على جميع الاصعدة، وبانطلاق الانتفاضة الثانية، فَقَدَ جزء رئيسي من الشعب الفلسطيني ايمانهم بالنضال الجماعي وبالهدف الواحد الا وهو تحرير الوطن، فوجدوا أن تضحيتهم الفردية ليس لها قيمة، ونستشف هذا الكلام من خلال دراسة ريما حمامي (حمامي، 2006)، والتي تُعتبر من أدبيات القسم الذي يهتم بتحويل المقاومة الفكرية إلى مقاومة مادية. فعندما درست حمامي تأثير حاجز سردا على حياة الفلسطينيين، وجدت أن الفلسطينيين قاوموا الحاجز من الناحية الفكرية بتغييرهم لمعناه، فرفض الفلسطينيون تمثيل دور الضحية بتجميد حياتهم اليومية وحركتهم والرضوخ لاستراتيجيات الحواجز التي تمنعهم من الحركة، فالعكس هو الذي حصل، فمعنى الحاجز الذي كوّنه الفلسطينيون غيّر من الحقيقة، لأن الفلسطينيين هزموا ما يمثله الحاجز والجنود من مواقع قهر وذل بحيث أصبح فضاء حيويا خُلقت من ورائه حياة عادية من تجارة وتنظيم مواصلات، فبدلا من اعتبار الحاجز علامة لإذلال الفلسطينيين أصبح معناه رمزيا ويمثل واجب استمرار الحياة اليومية رغما عن أنف الاحتلال (حمامي، 2006). وبنفس الطريقة وبالرغم من أن السبب الرئيسي من بدء انخراط النساء الفلسطينيات في سوق العمل هو العامل الاقتصادي فهل يمكن للمعنى أن يتحوّل إلى معنى اجتماعي يتحدى علاقات القوة والسيطرة البطرياركية؟ وهل يمكن للمعنى أن يتحول أيضا إلى معنىً سياسي يعكس نفسه ببزوغ فكرة المقاومة السياسية؟

مقاومة البطرياركية الفلسطينية

أنتج تحكّم الذكور في العالمين الخاص والعام المجتمع البطرياركي (ميليت في تونغ، 1989) او الذكوري او الأبوي، فأصبحت سيطرة الذكور عبارة عن بنية اجتماعيــة تحكــم مــن خلالهــا العلاقات بين جميع أفراد المجتمع الواحد وفي جميع المجتمعات. واذا نظرنا عــن قــرب إلــى العلاقات الاجتماعية في أي مجتمع كان، نجد اختلافا بين المنظور الثقافي الاجتماعي للميــزات والأدوار بين الرجال والنساء وهذا ما يعرف بالنوع الاجتمــاعي (بريــت، 1991)، فــالأدوار المتباينة التي يلعبها كل من الرجال والنساء في مختلف مجالات الحياة، تُنتج فــوارق اجتماعيــة بينهما، وهذه الفوارق تخلق اختلالا في القوى بين الجنسين والتي بدورها تؤثر على النشــاطات التي يقومون بها وتحكّمهم في المصادر والظروف التي يعيشون بصــددها وإمكانيــة اتخــاذهم للقرارات. وهذا الاختلال كان لصالح الذكور وضد مصالح النســاء. ولهــذا فــإن النســويات الراديكاليات يعتقدن بأن المجتمع الذكوري يعتبر العامل الرئيسي لاضــطهاد المــرأة واعتبــار منزلتها أقل من منزلة الرجل في المجتمعات (تونغ، 1989).

وهذه النظرة الغربية يمكن تطبيقها أيضا على المجتمعات العربيــة بعموميــة وعلــى المجتمــع الفلسطيني بشكل خاص. فالنظام الابوي المستحدث كما يقــول هشــام شــرابي يشــكّل بنيــة المجتمعات العربية، أي أن المجتمعات العربية تدمج ما بين النظــام الابــوي التقليــدي القــديم والعصري بشكل غير متناغم، لأن المجتمعات العربية بنظامها الابوي المستحدث تدعو إلى التقيّد بالتراث وإلى استحضار الحداثة في آن واحد، حيث يقوم هذا النظام على اســتعباد المــرأة عــن طريق نفي وجودها وتــأكيد تفوّق الذكر وترسيخ سيطرته (شرابي، 1992).

"والبطرياركية الفلسطينية هو نظام احتكار المصادر، والمحافظة على مكانة القرابة، والتحكم بأجساد النساء، وتشريع العنف، وضبط التعليم بهدف إعادة إنتاج العلاقات والأدوار الاجتماعية في العائلة، وتحديد إمكانيات وصول النساء إلى سوق العمل وتعريف أنواع العمل الذي يمكن أن تنخرط فيه النساء" (روبنبيرغ، 2001، صفحة 13).

فنلاحظ من هذ العرض وجود نظرة خاصة للمجتمع الفلسطيني حول العلاقات الداخلية بين المرأة والرجل، فمع أن المجتمع الفلسطيني يعتبر المرأة الفلسطينية مناضلة تاريخيا لأهمية الدور الذي لعبته في المشروع القومي التحرري (جاد، 1990)، إلا أن كثيرا من الابحاث التي تدرس المجتمع الفلسطيني تبين ترسيخ سيطرة المجتمع الذكوري على معظم النساء الفلسطينيات (الرشيدي، 2005؛ جاد، 1990؛ روبنبيرغ، 2001؛ ريختر ديفرو، 2009). وهذه السيطرة تتجلى بتقييد حرية حركة النساء (الرشيدي، 2005)، إن كان عبر مشاركتها في الحياة الاجتماعية او الاقتصادية او السياسية.

وبما أننا ندرس المجتمع الفلسطيني الواقع تحت الاحتلال الصهيوني، فلا بد من ملاحظة تقاطع سيطرة الاحتلال الصهيوني مع علاقات القوى الداخلية في المجتمع. لأن استراتيجيات الاحتلال القهرية تؤثر تأثيرا ملحوظا على النسيج الاجتماعي الفلسطيني (ابو نحلة، 2008)، والنساء الفلسطينيات لا بدّ وأن يقاومن ويتحدين تلك القيود من أجل الشعور بالاستقلالية والتعبير عن ذواتهن والشعور بكونهن أفرادا في المجتمع يستطعن القيام بمهام وأفعال مثلهن مثل الرجال. وبناءً على ما تقدم فإن نتيجة دراسة مقاومة البطرياركية الفلسطينية لا بد وان تعطينا مؤشرا حول التغيير في بنية تقسيم الأدوار بين النساء والرجال، وأيضا في قضية تغيير النظرة عن

الرجال والنساء في المجتمع. فهل مقاومة النساء الفلسطينيات للمجتمع الذكوري سيحدث تغيراً في هيكليات القوى المجتمعية الداخلية؟

يمكن تقسيم الأدبيات التي تعاملت مع مقاومة النساء للمجتمع الذكوري إلى قسمين: حيث ركزت أدبيات القسم الاول على فكرة تأثير الاحتلال الصهيوني على اختلاف تقسيم أدوار النوع الاجتماعي في الأسر الفلسطينية (ابو نحلة، 2008؛ كتّاب، 2008؛ شلهوب كيفوركيان، 2010)، وهذا ما سنحاول اظهاره من خلال دراستنا. والجزء الآخر سلط الضوء على اعتبار النساء الفلسطينيات اما ضحايا للنظام الذكوري بتعزيزهن إياه (ابو نحلة، 2008) او اعتبارهن مقاومات لهذا النظام (ريختر ديفرو، 2009)، او يعتبرن مقاومات للنظام الذكوري في مواقف وقد يعززنه في مواقف أخرى (جونسون، 2007) فهل يمكن اعتبار النساء الفلسطينيات اللواتي يعبرن إلى مدينة القدس المحتلة في الخفاء مقاومات للمجتمع الذكوري؟

فدراستي أبو نحلة وكتّاب ركزتا على تغيير تقسيم الادوار في العائلة بمشاركة النساء مسؤولية الإعالة مع الرجال (ابو نحلة، 2008؛ كتّاب، 2008). اما دراسة شلهوب كيفوركيان وجدت بأنه بالإضافة إلى تغيّر أدوار النوع الاجتماعي بمشاركة النساء في سوق العمل، فإن التحول برز أيضا في حرية الحركة (شلهوب كيفوركيان، 2010).

اما لميس ابو نحلة فوجدت عندما درست الحياة اليومية لست عائلات فلسطينية بأنه ونتيجة للحصار والاوضاع السياسية والاقتصادية الصعبة التي خلقها الاحتلال الصهيوني، لجأت النساء الفلسطينيات إلى الانخراط في سوق العمل، وهذا الانخراط غيّر من تقسيم الادوار في العائلة بمشاركة النساء الفلسطينيات الذكور مسؤولية إعالة الاسرة (ابو نحلة، 2008). وهذا ما سنتأكد منه خلال دراستنا، فهل مبادرة النساء الفلسطينيات بالانخراط في سوق العمل غيّرت من تقسيم

الادوار في العائلات الفلسطينية، خاصة وأن مسؤولية الاعالة في المجتمع الفلسطيني تقع على عاتق الرجل؟

كما ودرست ايلين كتّاب أيضا حياة النساء الفلسطينية اليومية وسوق العمل، واكتشفت بأن عمل النساء قد خفّف من حدة الصعوبات التي تواجهها الأسر الفلسطينية، فعند الأزمات المالية صنّفت كتّاب نشاطات النساء على أنها آليات مواجهة اقتصادية، اما عند الازمات الوطنية فإنها تعتبر أساليب مقاومة تقوم بها النساء كردة فعل تلاشيا لإفقار العائلة او انهيارها (كتّاب، 2008). فهل يمكن اعتبار أفعال النساء الفلسطينيات لإنجاح عملية عبورهن إلى مدينة القدس المحتلة بمثابة ردة فعل ولتلبية حاجة اقتصادية؟ أم أن النساء يمكن أن ينتجن معان اجتماعية وسياسية من خلال هذه الافعال، هذا ما سنحاول ايجاده من خلال البحث.

اما نادرة شلهوب كيفوركيان فقد ناقشت في دراستها بأنه وبالرغم من التأثير السلبي لأساليب الاحتلال الصهيوني على النساء إلا أن النساء في الغالب يوجّهن طاقاتهن إلى نشاطات تواجه الواقع، فالنساء اللواتي مررن بتجربة اعتقال أزواجهن، بادرن وتحمّلن مسؤولية الاعالة بالانخراط في سوق العمل، وبتدبير ماوى لعائلاتهن بعدما تم هدم منزلهن، بدلا من استخدام ضعفهن الذي ينسبه اليهن المجتمع نسبة إلى الرجل الذي يمثل القوة (شلهوب كيفوركيان، 2010). وقد لوحظ أيضا أن النساء اللواتي يحملن هوية القدس الزرقاء– التي تمثل ضمانا اجتماعيا للفلسطينيين الساكنين في مدينة القدس المحتلة – في عائلة فَقَدَ فيها باقي أفرادها تلك الهوية، حيث أصبح دخل هؤلاء النساء هو مصدر الرزق الوحيد للعائلة، لأنهن استطعن الحركة والتنقل، خلافا لباقي أفراد الاسرة وخصوصا الرجال الذين فُرض عليهم الحد من الحركة لحملهم الهوية البرتقالية التي لا تمكنهم من العبور عن المعابر او التجول بحرية في مدينة القدس المحتلة

خوفا من الوقوع بتهمة عدم قانونية وجودهم في ذلك المكـــان (شـــلهوب كيفوركيـــان، 2010). فماذا عن النساء الفلسطينيات اللواتي يعبرن في الخفاء إلى مدينة القدس المحتلة، فما هي العلاقـــة التي تربط صعوبة العبور الخفي وما يتخللها من معاناة ومجازفة وحرية حركتهن؟ فهل تستطيع النساء المبيت والبقاء فترات طويلة خارج بيوتهن للتقليل من المجازفة والخطـــر؟ أم أن الـــزوج يرفض تلك الفكرة بسبب القيود المجتمعية؟

اما القسم الثاني من الادبيات فقد بيّن تعزيز النساء الفلسطينيات للنظام الذكوري او تحديه، حيـــث وجدت لميس ابو نحلة بأن بعض النساء الفلسطينيات يعتبرن ضحايا النظام العـــائلي الـــذكوري، بسبب تعزيزهن للنظام عن طريق استيعاب قواعده وبعضهن الآخر يقاوم قيوده وحـــدوده (ابـــو نحلة، 2008). لكن بيني جونسون اوجدت بأن شخصية المرأة الفلسطينية اللاجئة التي قاومـــت النظام الذكوري بممارستها نشاطات يرفضها المجتمع من ترميم بيتها بالرغم من وجود زوجهـــا في السجن، وبالإضافة إلى مواجهة عائلة زوجها واستقلالها وسكنها في بيت منفصل عـــنهم، الا أن شخصيتها القوية لم تمتد لتكسر القيم الجندرية المجتمعية في مواقف أخـــرى فبقيـــت ســـحر مستسلمة لبعض القيم الجندرية غير العادلة في علاقتها مع زوجها مع علمها بأنها تملك شخصية أقوى من شخصية زوجها (جونسون، 2007). وفي هذا السياق سنتابع في بحثنا كيفية تعامـــل المرأة الفلسطينية مع النظام الذكوري فهل تقاومه في مواقف أم كانت تعززه في مواقف أخرى؟ استنتجت صوفي ريختر ديفرو عندما سلطت الضوء على تقاطع فاعلية النساء وهيكليات القـــوى المختلفة الاجتماعية والسياسية من حول النساء الفلسطينيات عندما درست ممارسات النساء عنـــد التجوال، بأنه وبالرغم من تأطير ممارسات النساء عند عبور القيـــود الإســـرائيلية المفروضـــة كنشاطات مقاومة ضد الاحتلال الصهيوني، فهي في نفس الوقت شكّلت فرصة لتحدي وتجـــاوز

آليات السيطرة البطرياركية الداخلية (ريختر ديفرو، 2009). وسنرى كيف تتقاطع هذه المقاربة مع حالتنا الدراسية فهل يمكن اعتبار ممارسات النساء الفلسطينيات انتهازا لفرصة مقاومة الاحتلال الصهيوني وتحدي البطرياركية الفلسطينية؟ فكيف تتعامل النساء مع مجتمعهن المحيط في مسألة الخروج من البيت عند منتصف الليل؟ او المبيت خارج المنزل، او المشاركة في سوق العمل؟

الحالة الدراسية

تمثّل الحالة الدراسية تجربة عدد من النساء الفلسطينيات اللواتي يسكنّ في منطقة بيت لحم – المعزولة بجدار فاصل وحواجز عسكرية صهيونية – ويعبرن إلى مدينة القدس المحتلة في الخفاء طلبا للعمل. فمنطقة بيت لحم تمثّل حالة من مدن وقرى الضفة الغربية المعزولة عن مدينة القدس المحتلة والمناطق الفلسطينية التي أصبحت دولة "اسرائيل" بُعيد النكبة. فهي معزولة بجدار الفصل العنصري والحواجز والمعابر العسكرية الصهيونية. وقد عزلها الاحتلال الصهيوني لفرض السيطرة ولإذلال الشعب الفلسطيني كافة. ومدينة القدس المحتلة تعتبر واحدة من أهم المدن الفلسطينية من الناحية الاقتصادية والدينية (عاصلة، 2011). فتاريخيا ارتبطت مدينة القدس مع مدينة بيت لحم وضواحيها، فشراء الخضار والفواكه او الثياب او الاحذية او الحلويات من مدينة القدس كانت لا تضاهيها متعة لكل فلسطيني يود أن يشتري متطلباته اليومية، ولهذا فإن الوافدين إلى مدينة القدس كانوا يأتون من مختلف المناطق.

وبالإضافة إلى الشراء كانت مدينة القدس عنوانا أيضا لزيارة الاماكن المقدسة، فزيارة كنيسة القيامة وزيارة المسجد الاقصى لهما مكانتهما الخاصة عند المسيحيين والمسلمين، ولا ننسى أيضا هدف التواصل الاجتماعي الذي كان يجمع الفلسطينيين من هنا ومن هناك (عاصلة، 2011).

وبنفس الوتيرة فإن الباعة أيضا كانوا يتوافدون إلى مدينة القدس لعرض بضائعهم إن كانت بضائع مادية مثل الخضار والفواكه او العمل المأجور مثل العمال. وبالنسبة للنساء الفلسطينيات فكنا نشاهد بائعات الخضار والفواكه يحملن خضارهن ليبعنها في أسواق مدينة القدس. اما قسم آخر من النساء فكن يبحثن عن المصانع للعمل او يبحثن عن بيوت للتنظيف. وبذلك اعتاد سكان منطقة بيت لحم على الشراء والبيع في المدينة المقدسة. لكن الحياة الجميلة أنهاها الاحتلال الصهيوني حين ابتدأ بتضييق الخناق على الفلسطينيين، وعزل مدنهم وقراهم عنها من خلال بناء جدار الفصل العنصري وإقامة الحواجز العسكرية (جمعة، 2004).

فمع صعوبة الوصول إلى مدينة القدس، بدأت عملية الشراء من مدينة القدس تقل تدريجيا بالنسبة للفلسطينيين الذين يقطنون محافظة بيت لحم، وكان بديلهم أسواق محافظة بيت لحم بمدنها وقراها. لكن بالنسبة للباعة فروايتهم تختلف، حيث يوجد نوعان من الباعة: الاول يملك التصاريح التي تأذن لهم بالعبور من الضفة الغربية إلى مدينة القدس المحتلة واسرائيل. والنوع الآخر لا يملكون التصاريح لكنهم يصرّون حتى هذه اللحظة على الوصول إلى مدينة القدس وللعمل فيها. وهذه الشريحة من الناس تعبر الجهة الأخرى عن طريق العبور في الخفاء. وقسم كبير من هذه الشريحة هم أيضا من النساء.

يمثل الجدار الفاصل الحدود بين الضفة الغربية واسرائيل، لكن مدينة القدس المحتلة أيضا اعتبرتها اسرائيل منطقة اسرائيلية، حيث لا يستطيع اي شخص فلسطيني دخولها قانونيا الا اذا حاز على تصريح. وتلك الحدود لم تكتمل حتى هذه اللحظة بعد، فيوجد مناطق لا يوجد فيها جدار وانما تفصل بين الدولتين اسلاك شائكة (اسحق وآخرون، 2006). وهكذا فإن العبور الخفي لا يكون عبر اختراق الجدار وإنما عبر السياج او ما يسمى بالشيك. فيفتح الفلسطينيون

العمال فتحات في السياج باستخدام أدوات معدنية حادة ويعبروا منها في الخفاء كما أشارت نساء عينة الدراسة. وعندما يكتشف جنود الاحتلال الصهيوني تلك الفتحات يغلقوها، ويــأتي العمــال مرة أخرى ويفتحون فتحات غيرها وهكذا يلعبون لعبة القط والفأر. لكن رواية السياج لم تنتــهِ بعد، لأن السياج يكون عادة قرب الحواجز والمعابر الاسرائيلية، وبالتالي فإن عملية العبور فــي الخفاء أصبحت مجازفة، لأنه وفي اية لحظة يمكن للجنــود الاســرائيليين الامســاك بالعــابرين والعابرات متلبسين ومتلبسات بقضية خرق للقانون، كما يدعي الجانب الاسرائيلي. ولهــذا فــإن عملية العبور تكون عادة في الليل، لتكون فرص نجاح العبور أكبــر. والنســاء الفلســطينيات بدورهن يستخدمن أسلوب العبور الخفي أيضا بهدف الوصــول إلــى الجهــة الأخــرى. لكــن التأثيرات التي انعكست على النساء تميزت بخصوصيتها، نتيجة لتبــاين الأدوار بــين الرجــال والنساء ونتيجة لاختلاف نظرة المجتمع على النشاطات التي يقوم بهــا الرجــال والنســاء فــي المجتمع. وهذا الاختلاف دفع النساء لمواجهة تلك السياسات بطرق خاصة، وهذا أدى إلى خلــق مظاهر وأساليب مختلفة لتخطي الصعوبات بهدف مواصلة مسيرة الحياة اليومية.

فبعد التقصي والبحث وُجد أن هناك اسلوبين تستخدمها النساء لتخطي اســتراتيجيات الاحــتلال وجدار الفصل والحواجز والوصول إلى مدينة القدس المحتلة:

الاول هو الانتظام في مجموعة، حيث تنتظم معظم النساء في مجموعات وهذا الانتظــام يحتــاج إلى تنسيق وتخطيط وترتيب مع النساء أنفسهن ومع السائق الذي يجمع النساء في سيارته، فيقلهن إلى المعبر المتفق عليه بعد منتصف الليل، وينزلن من السيارة ويركضن إلى السياج الذي يفصل بين الضفة الغربية ومدينة القدس المحتلة، ويخترقن السياج ويصلن إلى اماكن عملهن اذا كانــت الطريق سهلة.

والطريقة الثانية هي تجربة المخاطرة الفردية: حيث تفضّل (م) وهي الوحيدة من بين النساء اللواتي تمت محاورتهن التي تستخدم أسلوب العبور بمفردها، لاعتقادها بأن فرديتها تعطيها فرصة أكبر للمرور، وعن طريق التنكر بالشكل والتصرفات، تستطيع (م) التخفي بين الاسرائيليين، لتتمكن من استخدام الحافلات والعربات الاسرائيلية لإنجاح عبورها.

فبالرغم من وجود الاحتلال الإسرائيلي الصهيوني الذي يسعى إلى إعاقة وتعقيد حياة الشعب الفلسطيني اليومية، بالإضافة إلى إذلالهم إلى أقصى الحدود، وبالرغم من سيطرة المجتمع الذكوري وبأشكال متفاوتة على أفعال وتصرفات النساء الفلسطينيات، إلا أن تلك النسوة تصرّ على المثابرة والتحدي واجتياز كل العوائق، بهدف الوصول إلى مدينة القدس المحتلة وممارسة نشاطاتهن اليومية التي اعتدن عليها.

الفصل الثالث

المنهجية

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على الحياة اليوميّة للنساء الفلسطينيات اللواتي يعشن في منطقة بيت لحم-المعزولة عن مدينة القدس المحتلة- ويعبرن إلى مدينة القدس المحتلة خفية عن جنود الاحتلال الصهيوني طلبا للعمل، لاعتقادهن بأن تلك المدينة تعتبر مكانا للعمل أفضل من غيره، وذلك بالرغم من كل العوائق والصعوبات التي تواجههن لإتمام عملية العبور إلى الجهة الأخرى. ففي العمق يسعى هذا البحث إلى التعرف على ماهية اوصاف أفعال النساء اليومية من حيث التكتيكات التي يستخدمنها حتى يصلن إلى مدينة القدس المحتلة، وما هي ردّة فعلهنّ عند إمساك الجنود بهن، وكيف يتصرفن داخل المدينة المقدسة من دون التصاريح التي تأذن بوجودهن في هذا المكان؟ وما هي طريقة عودتهن إلى بيوتهن؟ بالإضافة إلى اكتشاف سبب إصرار النساء على الاستمرار في المخاطرة إلى هذه اللحظة رغم العوائق والمعاناة والمجازفة وإمكانية الفشل. ومن خلال التعرف على حياة النساء اليومية يمكننا أن نفهم المعاني التي تنتهجها النساء عندما يمارسن النشاطات اليومية المختلفة. هذا بالإضافة إلى محاولة اكتشاف إذا ما كانت تلك النشاطات تشكل تحديا وتغييرا في هيكليات القوة المفروضة على ذواتهن من قبل النظام الابوي الداخلي في أسرهن ومجتمعهن، وكيف تؤثر تلك الافعال على تقوية شخصياتهن وتمكينهن.

وللوصول إلى هدف البحث، استخدمت تقنية المقابلة المباشرة والحوار المفتوح مع عدد من النساء الفلسطينيات اللواتي يعشن في منطقة بيت لحم في فترة زمنية تراوحت بين سنة 2010 إلى 2012 ميلادية، بالإضافة إلى تجربتي الشخصية في العبور خفيةً إلى مدينة القدس المحتلة مع أربع نساء للتمكن من الحصول على المعلومات الكافية لإنجاز هذا البحث.

فقد تمت مقابلة خمس عشرة امرأة مسلمة وفقيرة يعشن في منطقة بيت لحم مثل قرى بتير، الخضر، نحالين وارطاس، ومدينة الدوحة، ومخيم الدهيشة، بالإضافة إلى مقابلة أربعة من الرجال الذين يعلمون عن أفعال وتجربة النساء. وبالإضافة إلى المقابلات الفردية، فقد استطعت مقابلة (ام ع) و(ام ح) من بتير في جلسة واحدة، وأيضا تمكنت من مقابلة (ام م) و(ام ا) من ارطاس في جلسة ثلاثية أخرى. فالمقابلة ستتعامل مع خطاب عينة الدراسة بصفته خطابا يعبّر عن التجربة الشخصية، بالإضافة إلى الوعي الجمعي عند هذه الفئة من الناس إزاء الواقع الذي يتحركون فيه. والتجربة الشخصية أيضا بالرغم من أنها تضفي جوانب وتفاصيل صغيرة لكنها تفتح آفاقا جديدة وتضيء جوانب عديدة لم تخطر على البال من قبل. فبعد تجربة العبور في الخفاء تلك، استطعت أن أعيش الحدث وبالتالي تمكّنت من فهم نفسية النساء أكثر عند قيامهن بتكتيكاتهن المختلفة. اما عامل الثقة الذي شعرته عند النساء بعد عبوري الخطر معهن فقد أضاف زخماً إلى البحث بصورة ملحوظة، فقد تطرّقت النساء إلى موضوع المتعة في المقابلات الأخيرة عندما شعرن بأنني أشبههن بعبوري إلى مدينة القدس المحتلة بطريقتهن.

وإمكانية التعرف ومحاورة عينة الدراسة تمّت بمساعدة أشخاص تثق النساء بهم كل الثقة، وعن طريق النساء أنفسهن أيضا. فعند التخطيط لاقتحام عالم النساء اللواتي يعبرن في الخفاء، استعنت برجل ذي مكانة مرموقة في مجتمع بتير، هذا البتيري الذي عرفته عن طريق عملي الميداني في القرية، فسألته عن امرأة من بتير تعمل في مدينة القدس المحتلة، وفعلا أخذني إلى منزل (ن) من دون موعد مسبق– فهذه ثقافة القرية كما قال. وبدأ حواري مع (ن) طبعاً بعد توضيح الهدف والتأكيد على الثقة، وخلال المقابلة علمتُ منها بأنها تبيع خضارا وفواكه في مدينة القدس المحتلة، لكن طريقة ذهابها إلى المدينة هو الذي شدّني، فقد قالت بأنها تعبر إلى

المدينة خفيةً مع مجموعة من النساء الأخريات، ومن هنا بدأ النقاش المثير عن تفاصيل هذه التجربة، وأثناء الحديث طُرح سؤال يتعلق بصاحبة القرار في تحديد وقت الذهاب إلى مدينة القدس المحتلة فقالت (ن): "اكبر واحدة بتقرر ايمتى بدنا نروح، ومنروح معها"، ففهمت أن المسألة ليست عفوية او ارتجالية، فهناك احترام للعمر بالإضافة إلى بروز سيطرة صاحبة القرار. ولهذا وجدت أنه من الضروري إجراء مقابلة مع قائدة المجموعة، فسألت (ن) عنها وهكذا وصلت إلى (أم ع) بائعة الخضار أيضا برفقة البتيري، حيث تأكدت من أن شخصية (أم ع) تتحلى بالحكمة والمعرفة العميقة ومهارة اتخاذ القرارات الصحيحة لتدبير الأمور. وفي سياق المقابلة تحدثت (أم ع) عن نساء يعملن في تنظيف بيوت الاسرائيليين في القدس الغربية، ففكرت بأنه من المثير مقابلة امرأة من هذا النوع لأرى إذا كانت تجربتها ستختلف بعض الشيء وفعلا هذا ما حدث. فعن طريق البتيري مرة أخرى، استطعت الوصول إلى (س) والتي عرفت منه بأنها خالته، فقد بدأت (س) تعمل كبائعة خضار لكنها غيّرت من طبيعة عملها وأصبحت عاملة تنظيف. وبعد إجراء المقابلات الثلاثة أدركت بأن العبور الخفي عبارة عن مخاطرة بما تحمله الكلمة من معنى. وعندما التقيت (بأم م) في مدينة القدس واتفقنا على زيارة في بيتها، وقد أحضرت نسيبتها إلى بيتها لأتمكن من الحديث معهما. وأيضا عندما قابلت (ام م ن) التي تسكن نحالين هي التي دلتني على (ام ر)، و(م) هي التي اقترحت (مر) وابنتها (ح). اما الصدفة البحتة فهي التي عرّفتني على (م)، فقد سمعت عن نساء من مخيم الدهيشة يعبرن خفيةً إلى مدينة القدس المحتلة، ولكي أصل اليهن، اتصلت بمعلمة ابنتي التي تعمل في بيت ساحور وأعلم انها من مخيم الدهيشة، فبعد شرحي لها عن بحثي سألتها اذا كانت تعرف نساء يعبرن في الخفاء إلى مدينة القدس المحتلة، فقالت لي بأن لزوجة خالها جارة تصل إلى مدينة القدس المحتلة بهذه الطريقة، فسألتها اذا استطاعت أن تدلني عليها وفعلا أخذتني إلى بيت (ف). ودخلنا البيت حيث

كان يعم بالنساء والفوضى، فقد كانت النساء تتكلم بصوت مرتفع لأننا استطعنا أن نسمع الصوت ونحن خارج المنزل. وعرّفتني المعلمة على (ف) وقالت لها بأنني باحثة واود الحديث معها، وعندها استأذنت ثلاث نساء وغادرن المكان. وبقيت (ف) وأخرى وأصحاب المنزل بالطبع. فعرّفتني (ف) على (ع) وقالت لي بأن أتحدث معها اولا قبل أن تغادر، وتحدثتُ إليها وعرفت منها بأنها تملك تصريحا لعبور الحدود إلى مدينة القدس المحتلة لكننا تحدثنا عن مخاطرتها عندما كانت تعبر المدينة في الخفاء. وبعدها بدأت حديثي مع (ف) التي كانت تملك تصريحا أيضا في تلك الفترة، وقالت لي بأنها ستروي لي عن معاناتها قبل حوزة التصريح. وخلال حواري مع (ف) دخلت أمرأة صغيرة في السن تضع على رأسها قبعة وتلبس بنطالا وبلوزة عادية ومعها ثلاثة أطفال. فحيتنا وجلست، وقالت لي (ف): "هاذي (م) بنت اختي". فرحبت بها وجلست تسمع حديثي مع (ف). فكانت تتدخّل في الحوار بين لحظة وأخرى. فسألتها: "انت بتشتغلي؟" فأجابت: "لا". وشعرت بأن لسانها ثقيلا بعض الشيء، فسألتها: "انت كنت عايشة برة؟" فقالت: "لا"، واستغربت، لأني اعتقدت بأنها اجنبية وتتكلم العربية كلغة ثانية. واكملنا الحديث فشعرت بأنها تنخرط كثيرا في موضوع العمل في مدينة القدس المحتلة. فسألتها مرة أخرى: "انت بتشتغلي في القدس؟" فأجابت: "اه بشتغل بس ما بدي حدا يعرف". فلا بد من انها شعرت بالارتياح لكي تقول نعم بعد مضي اكثر من نصف ساعة نقاش. المهم في الموضوع بأنني سألتها عن ذهابها مع مجموعة من النساء، لكنها أجابت بأنها لا تذهب مع مجموعة. فسألتها باندهاش: "والا كيف بتروحي؟" فقالت: "لحالي"، فسألتها باستغراب: "ما بتخافي تروحي في نص الليل لحالك؟"، فقالت: "انا ما بروح في نص الليل انا بروح الساعة 6 الصبح". وأخذت تشرح لي عن طريقتها وانا منبهرة منها ومن شجاعتها. فقلت لها: "انا حابة كتير احكي معك اكتر عن الموضوع في يوم تاني عشان الوقت تأخر وما بقدر اترك بناتي اكتر". فأعطتني رقم هاتفها

واتفقنا على أن اتصل معها وأن نحدد موعدا للقاء قريب. وانا في طريق عودتي لم استطع أن اتخيل مدى جرأة وشجاعة تلك المخلوقة... وتلهّفت إلى سماع قصتها بتفاصيلها إلى أن حان موعد اللقاء المنتظر. فذهبت أنا وزوجي في السيارة لإحضارها من مخيم الدهيشة، ونزلنا إلى مكتب زوجي في بيت ساحور لنجلس فيه، فقصة تلك المرأة غريبة عجيبة، فهي فضّلت إجراء المقابلة خارج بيتها، فلم تمانع من الخروج وحدها مع اناس غرباء بالنسبة اليها في مساء ليلة باردة معتمة، لكنها برّرت فعلها وقالت: "بدي انيّم اولادي، عشان نحكي على راحتنا، عشان جوزي ما بعرف انه انا بشتغل". وسألتها: "معليش تقعد معنا بنت حماتي، عشان انا حكيتلها عنك، وهي حابة تدير الحوار معي، عشانها اشطر مني في المقابلات". فأجابت: "ما بتفرق معي". فاتصلت بساندي فورا وقلت لها اذا استطاعت أن تلتقي معنا، فقالت لي بأنها ستكون في المكتب بعد ربع ساعة، وانا سررت كثيرا لأني اعتقدت بأن ثروة كبيرة قادمة الي، فأنا سأجتمع (بميم) بقصتها الغريبة والخبيرة ساندي الجديرة في العمل الميداني. وفعلا بدأ اللقاء...

فلولا المساعدة لما تمكّنت من الوصول إلى النساء او مقابلتهن، وذلك بحكم حساسية الموضوع وما قد يثيره أي حديث من مخاوف وشكوك. والدليل على أهمية عامل الثقة أنني حاولت مقابلة امرأة من بتير بعد لقاء (ن) في البداية لكنها رفضت وقالت لي عندما سألتها عن الذهاب إلى مدينة القدس المحتلة بأنها في الماضي كانت تذهب لكنها توقفت الآن عن الذهاب، مع أنني تأكدت لاحقا من أنها لا تزال تخوض المخاطرة.

واختيار عينة الدراسة تم حسب نتائج الحوار كما ذكرت بالإضافة إلى فكرة التنويع في المناطق السكنية التي تعيش فيها النساء.

وعندما بدأت التعامل والحديث مع النساء لم اخطط مسبقا إلى العدد الذي اود مقابلته، فقد كانت المعلومات التي أحصل عليها تكبر مثل كرة الثلج التي تتدحرج، وعندما وجدت بأن المقابلات أصبحت تكرارا ليس إلا فكّرت بالتوقف عند هذا الحد.

اما بالنسبة إلى الأسئلة التي تم طرحها أثناء محاورة عينة الدراسة، فقد انقسمت إلى أربعة محاور رئيسية: المحور الاول يشمل معلومات شخصية بشكل عام، مثل الإسم والعمر والعمل وعدد الاولاد والبنات. اما القسم الثاني فقد ركّز على العمل وعملية العبور في الخفاء. فسبب الإنخراط في سوق العمل منذ البداية كان مهما بالنسبة لي، ومن ثم سبب الإصرار على تكملة مشوار العمل في مدينة القدس المحتلة وعدم ايجاد عمل بديل في منطقة عيشهن. بالإضافة عن سؤالهن عن تفاصيل رحلة العبور الخفية، من حيث كيفية التخطيط المسبق وكيفية التنظيم في المجموعة، وكيف تتم عملية العبور الخفية واية ساعة ومتى ومن اين، وكيفية التصرف اذا تم القبض عليهن من قبل جنود الاحتلال الصهيوني، ومن ثم كيفية التصرف داخل مدينة القدس المحتلة بدون التصاريح التي تأذن لهن بالوجود هناك، فماذا يلبسن وكيف يتنقلن من مكان لآخر، وكيف يتعاملن مع المحيط؟ وكيفية تدبير أمورهن عند المبيت في المدينة وكيفية العودة إلى بيوتهن. والقسم الثالث سلط الضوء على كيفية تعامل النساء مع أفراد الاسرة والمجتمع، فقد كان اهتمامي أن افحص علاقات القوى الداخلية بين النساء وأسرهن والمجتمع الذي يحيطهن، بالإضافة إلى مدى التغيير في شخصية النساء من ناحية الجرأة واتخاذ القرارات وفي تقسيم العمل والمسؤوليات داخل المنزل وغيرها. وأخيرا ركزت على شعور النساء عند العبور وعند إمساك الجنود بهن، وشعورهن نحو مدينة القدس المحتلة بشكل عام وعن عملهن بشكل خاص. فقد كان من المهم معرفة فهم النساء لعملهن نفسه، وكيفية تأطيرهن اليه، فكان من المهم معرفة

ماهية اعتبار النساء لأفعالهن اليومية: فهل يعتبرنها مقاومة سياسية ام يعتبرن أفعالهن مجرد عمل اقتصادي ليس إلا؟ فمن خلال هذه الاسئلة استطعت أن أجيب على اسئلة البحث.

فبعد محاورة العينة المدروسة، وجدت بروز خصائص اجتماعية وثقافية تميّزها عن غيرها، والتي بدورها تمنحهن فرصة تعريض أنفسهن على جميع المستويات الجسمانية والنفسية لقوات الاحتلال الصهيوني الذي يقوم بممارسات القمع والتعذيب ضد الفلسطينيين باستمرار. فالنساء يتحلّين بشجاعة وبجرأة وبقوة إرادة تمكّنهن من المواجهة.

ومن خلال تجربتي الشخصية عندما قمت بالعبور في الخفاء مع مجموعة من النساء، استطعت أن أعيش الحدث بتفاصيله وتوتراته وقلقه، فالتفكير في خوض التجربة والتحضيرات التي أجريتها قبل الموعد والمغامرة نفسها وشعوري عندما عدت إلى البيت كل هذه الامور قد أضاءت جوانب وتفاصيل لم أكن أعرفها ولم أشعر بها قبل تلك التجربة. ومن خلال هذه التجربة العملية أيضا استطعت أن أمنح النساء الثقة بي وبشخصي، وهذه الثقة مكّنت النساء من الحديث بصورة مغايرة، فعندما شعرت النساء بأني اشبههن وأتفهمهنّ ارتحن للحديث ولسرد التفاصيل بحرية وبراحة أكبر. وفي مغامرة العبور الخفية أيضا استطعت أن احاور (ام عل) و(ن) و(س) و(ام عم) وسائق التاكسي والعامل يوم ذهابي مع النسوة إلى مدينة القدس المحتلة، ولهذا فإني أعتقد بأن تجربة المغامرة كانت إغناءً للبحث بشكل عام.

وفي هذا القسم سنتعرف قليلا على عينة الدراسة عن طريق التطرق لوصف بسيط لوضعهن الاجتماعي، بالإضافة إلى إبراز أهم ما اكتشفت في شخصياتهن وذلك من خلال حواري ومناقشتي لهن.

(ن): هي اول امرأة قابلتها، ولاستمتاعي الكبير براويتها وأسلوبها في الكلام، تحمّست لموضوع البحث، وبعد رواية (ن) بتفاصيل معاناتها، فإن احساس البطولة هو الذي سيطر على مخيلتي، فاعتقدت بأنها بطلة وليست ضحية. والجدير بالذكر عن (ن) بأنها كانت تذهب إلى مدينة القدس المحتلة مع مجموعة (ام ع)، وقد اعتكفت في منزلها عندما حرثت (ام ع) أرضها وقررت عدم الذهاب للعمل. لكن عندما زرت (ام عل) لأرتب معها عبوري الخفي مع مجموعتها، اتصل سائق السيارة (بأم عل) وقال لها بأن (ن) مشغولة بتخرّج ابنها، ولهذا فقد تم تأجيل المخاطرة يوما واحدا. وعندما سألت (ام ع) في مقابلتي الثانية معهاعن سبب توقف (ن) من مرافقتهن في المجموعة، أجابت بأن (ن) تعبر في الخفاء إلى مدينة القدس مرة واحدة في الاسبوع ولهذا وجدت مجموعة أخرى. لكني أعتقد بأن شخصية (ن) نفسها التي رضخت لتعليمات (ام ع) قبل سنتين، لم تتقبل استمرار سيطرة (ام ع) عليها، ولهذا انتقلت إلى مجموعة أخرى وأصبحت هي القائدة.

تسكن (ن) في قرية بتير ولديها 8 اولاد وبنات، وتعمل كبائعة للخضار، عمرها 55 عاما، وانخرطت في سوق العمل عندما عجز زوجها عن إعالة الاسرة أي قبل 18 عاما، فأخذت بنفسها مسؤولية الاعالة، والذي استغربته من (ن) من أنها تعيل ولديها المتزوجين وبررت فعلها وقالت: "شو بدنا نسوي، اولادي مش ملاقيين شغل، يعني انا بقدر اوكل وولادي عالقلة؟ فانا بصرف على كل العيلة".

(ام ع): تقطن في قرية بتير، هي مزارعة، تعمل مع زوجها في الارض التي يملكاها. زوجها كان استاذا للغة العربية حيث كان يعمل في مدرسة الوكالة. تبلغ من العمر 64 عاما ولديها 5 اولاد وبنات. تتحلى (ام ع) بشخصية مرحة وقوية في نفس الوقت، فعند الحديث معها لا بد من

اكتشاف حكمتها، فهي تُعتبر قائدة المجموعة الاولى التي قابلتها في البداية. فقد كانت اعضاء المجموعة الاولى (ام ع) و(ام ح) و(ن) و(س) وأخريات. وعندما سألتها عن مدة عملها في مدينة القدس قالت: "إلي 31 سنة بقعد في نفس المحل، يعني هاذيك اليوم بقولي صاحب الدكان انت يا (ام ع) هالحين اذا قلنالك قومي من هان تراك بدك خلو اجر، قلتله ما بقبل الا طابو" . قالت (ام ع) هذه الطرفة والضحكة تملأ ثغرها. وبدأت تعمل (أم ع) عندما أصبح دخل زوجها لا يكفي مصاريف العائلة. وأعتقد أن ما يميز (ام ع) عن غيرها هو تعلقها وشعورها المرهف بمدينة القدس المحتلة، فعندما سألتها اذا توقفت عن العمل في مدينة القدس ماذا يمكن أن يحصل قالت:

> "انا مش حاطّة في بالي اني اوقّف او ابطّل اروح، الا ما الاقي طريقة ثانية اروح فيها، الا ما تدبّر، ما بقدر اتخيّل انو ابطّل اروح ع القدس، لانو بحس انو هاي حياتي ، وانا اتعودت، والتفكير انو ابطل اروح على القدس كأنه بفكّر في نهاية حياة او موت، وانا جد بكون مبسوطة لما اروح حتى لما نتعب ونتعذّب في التهريب، بس أصل باب القدس بقول الحمد الله هيني وصلت".

(س): تعيش في قرية بتير، بدأت تعمل في مدينة القدس كبائعة خضار لكنها غيّرت من عملها واصبحت عاملة تنظيف، وعرفت بأن (س) هي الوحيدة التي تعمل في التنظيف في كل قرية بتير، فأهل بتير لا يحبذون العمل في التنظيف لأن (ام ح) قالت: "الواحدة بتسكر الباب عليها وما منعرف شو بيصير جوة معها!"، لكن (س) لا تهتم لكلام الناس وتصرّح بكل جرأة عن طبيعة عملها. عمر (س) 57 عاما ولديها 9 اولاد وبنات، وبدأت تعمل منذ 10 سنوات عندما بدأت الانتفاضة وقلّت عدد ايام عمل زوجها فالدخل أيضا قلّ. وما يميز (س) أيضا هو استخدامها أسلوب التمويه بالشكل والكلام كي تخفى في مدينة القدس المحتلة ولتمر بامان فقالت (س):

"مرة كنت ماشية في الشارع ومش منتبهة والله كانت الدنيا شتا، وانا كنت لابسة طاقية وكبوت ولابسة تنورة ومش مبيّن انو ثوب، وانا ماشية، ويومها ما شفت حالي الا بين مجموعة كبيرة من الجيش عند فندق كامب ديفيد، اما شو ارتعبت من الخوف، بس قلت لحالي اذا بلف وبرجع بشكو في امري، بدي اتوكل على الله وامشي، وصرت اقرا قرآن ومشيت من نصهم وعادي، وقلت بديش انكز اذا نكزت بشكو في امري، وشو ضباط واقفين مش حيا الله! وضليت مكملة طريقي".

والصفة البارزة أيضا عند (س) هي أسلوبها الطريف في الكلام، فهي تملك روايات كثيرة عن مخاطراتها وتجاربها اليومية، فعندما كانت تتحدث لا بد من أن ينصت الجميع ويتفاعل معها ومع أسلوبها، وهذه حادثة أخرى من روايات (س):

"يعني مرات مش كل الطرق بتسلم، يعني مرة طلعنا على معبر الزيتونة يوم الاربعاء، واحنا طلعنا من هان الا في صوت، قلتلهن (لنساء مجموعتها الاخريات) صوت جيب تخبين، وتخبينا ونمنا بين العشب، قلتلهن ولا وحدة تتحرك، وكان في وحدة كبيرة بتتنطط، قلتها اقعدي شو بدك تجننينا؟ انت الحين بمسكوكي وبوخدونا في العروة، قالتلي بدي اطلع، قلتلها اطلعي بس اذا الجندي زقطك وقلتيلو في وراكي حدة يا ويلك! الا هي بتقول لا بقولش، بقلها يا ويلك انا بعرف وين بيتك! طلعت وراحت الا هم زاقطينها، ما انا قلتلها اقعدي في صوت جيب بس ما ردتش علية، كانو زاقطين اللي قبلنا احنا قلنا بيجوز مرقن الا هم ماخدينهم على المركز عندهم، واحنا مرقنا واطلعنا في الباص بس يا حسرتنا مسكونا في الباص، قال طيحو قلنالو يا زلمة بدنا نروح على المستشفى، قال هو دايما على المستشفى؟ قلناله ما احنا عجايز، قال: هاتو الهوية، قلتله: انا مرة كبيرة لشو الهوية؟ وقَلنا يلا طيحو...".

(ام ح): تعيش في قرية بتير وبدأت تعمل مع زوجها منذ 24 سنة في الارض التي يملكاها عندما أُغلق المصنع الذي يعمل فيه زوجها كمحاسب، لعدم تمكّنه من إيجاد وظيفة أخرى زمن الانتفاضة، بالإضافة إلى ذهابها إلى مدينة القدس المحتلة لبيع المنتوج. عمرها 52 سنة، ولديها ولدين وثلاثة بنات. أهم ما يميز (ام ح) تعبيراتها الفكاهية، فعندما تبدأ بالكلام لا بد وان تُدخل تعابير من هنا وهناك لإضحاك الجميع. فعندما تحدثنا عن اول مرة ذهبت فيها إلى مدينة القدس المحتلة لتعمل قالت:

> "كانت في شهر 7 او8 كنت زارعة من كل اشي عينات، شغلات بسيطة، يعني شوية كوسا وشوية يقطين وشوية باتنجان بتيري، وما لحقت اروح ابيع بجوز عالساعه 10 كنت مخلصة، بعت كلشي معي وانبسطت، ورحت عالمحلات وتبضّعت لولادي، فدخلت الفكرة في راسي زي الحشاشين"، وضحكنا جميعاً معها.

(ع): تعمل في مهنة التنظيف، وانخرطت في سوق العمل عندما لم تتجاوز 12 عاما، فخرجت من المدرسة لتساعد امها في اعالة الاسرة لأن أباها ترك أمها، وهي من مخيم الدهيشة، عمرها 52 سنة، وهي مطلقة حيث طلبت الطلاق بعد زواج دام 5 شهور فقط فلم تنجب أبدا. فشخصيتها القوية لم تستطع تحمّل رجل غير صالح فقالت: "اتجوزت واحد طلع ساقط، التفّ على الهاملات من اول سنة، في الاول كان منيح، فانا اختصرت الطريق وتركتو ع طول يعني ما طولت 5 شهور قعدت معاه وتركته، صار يضربني ولما شفتو صار يمدّ ايده قلت هاي الحياة معه مستحيلة". وأهم ما شددت عليه هو إصرارها على العمل لتعيش بكرامة. وحالف (ع) الحظ لأن اليهودية التي تعمل عندها منحتها كفالة ولهذا استطاعت أن تحصل على تصريح للعبور إلى مدينة القدس المحتلة، فتقول عزيزة: "انا عندي تصريح من 5 سنين، وحدة من اللي

بشتغل عندهم كفلتني عند محامي يهودي دفعتله 6000 شيكل وسوتلي تصريح عمل، وبروح وباجي يوم يوم على المحسوم، الي بشتغل عندها 23 سنة، ولاّ! عشاني امينة كفلتني وعملتلي تصريح".

(**ف**): 45 سنة ومطلقة، تسكن مخيم الدهيشة، لديها 3 بنات وولد، بدأت العمل عندما كانت 18 سنة وبعدما تزوجت توقفت عن العمل، ودام زواجها 10 سنوات، وبعد طلاقها عادت إلى العمل مرة جديدة. عملت في مهنة التنظيف في مدينة القدس المحتلة وبدأت تعبر في الخفاء مع النساء الاخريات إلى أان حصلت على التصريح قبل 3 شهور فقط، ما يهم (ف) هو الحصول على النقود فتقول: "لما بمرق وبصل القدس بحس انه بدنا نزيد يوم شغل وفي مصريات دخلن في الجيبة، ولا احنا شو هدفنا؟ اه هدفي اني اشتغل، انا مش هدفي القدس، هدفي اني اجيب مبلغ معين، وبقول هي انا جبت 200 شيكل بقدر اشتري اللي بدي اياه لداري". وعن طريق (ف) اكتشفت (م) ابنة اختها، و(ف) أيضا اصطحبتني إلى (ام ر) جارتها.

(**م**): لديها ثلاثة اولاد، وعمرها 33 سنة، هي الوحيدة التي تستخدم أسلوب المخاطرة الفردية، فهي تعبر الحدود متخفية فتتنكر مثل الاسرائيليات لتتمكن من العبور. أدهشتني (م) بجرأتها الغير عادية، فهي تتحلى بشخصية قوية واثقة من نفسها تنعكس شخصيتها القوية في ابتكار أفكار وتكتيكات تُعتبر في قمة الخطورة، لكنها تملك مهارات عالية للمراوغة والتماهي والمواجهة للنجاح في عملية العبور. انخرطت في العمل في مهنة التنظيف منذ عامين بسبب قلة دخل زوجها، فقالت (م): "كنت ما احبش اقوم من النوم، لانه كان في ايام ما كان عندي فطور افطّر اولادي، وجوزي ما كان يقدر اقدم اشي". وعندما بدأت العمل خارج المنزل تحوّلت شخصيتها من امرأة كئيبة معتكفة ومستسلمة إلى امرأة مختلفة كل الاختلاف، فأصبحت تحب الحياة وتحب

الطريق التي تحمل معها المفاجآت، فحصولها على النقود وانبهارها بمدينة القدس المحتلة وتأثّرها باليهودية التي تعمل عندها هي العوامل التي حوّلت من تفكيرها السلبي إلى ايجابي.

(ام عل): تعيش في قرية الخضر، وتبلغ من العمر 61 عاما ولديها 5 اولاد وبنت. وبدأت تعمل كبائعة خضار منذ 40 عاما لتساعد زوجها في إعالة الاسرة، لكنها غيّرت من عملها عندما بدأت الانتفاضة إلى عاملة تنظيف. هي امرأة بسيطة وما يذكرني فيها هو الافكار المتناقضة التي تحملها، فقد كانت تتذمر في جلستي معها عن زواج اولادها من الاقرباء والهموم والمشاكل الذي خلقها ذلك النوع من الزواج من مشاكل صحية للأطفال ومن مشاكل عائلية ومقاطعة للأنسباء، فقد قاطعت عائلة (ام عل) اختها من وراء زواج القربى، وبعدها غيرنا موضوع الحديث وأخذت تحدثني عن ابنها الاعزب وقالت لي: "انا قلتله في عند اختي بنت منيحة وحلوة ومتعلمة بس هو ما بدو قرايب". فقلت لها: "بس انت حكيتي انه جيزة القرايب بتجيب المشاكل، واللا شو؟" فقالت: "اه مزبوط، يدبر حاله، هو انا بدي الحقه عشان يتجوز، هو بيني وبينك ما يوخذ قرايب احسن". و(ام عل) امرأة تملك طيبة لا مثيل لها فاختلاطي معها زاد من اعجابي وتقديري لها لعدة اسباب، فعندما ذهبت معها إلى الجامع في مدينة القدس المحتلة يوم مغامرتي مع مجموعتها، اخبرتني بأنها احضرت الطعام لنأكل معا، فشعرت بأنها تكترث لأمري، وبدلا من ان ترتاح وتنام في الجامع بعد ليلة متعبة ونهار شاق، بقيت تتحدث الي بالرغم من تعبها، اما الحادثة الثالثة فقد ادهشتني عندما قالت: "انا كنت هاملة همك اليوم اكتر من حالي، عشان انا ختيارة شو بدو يصير عليّ؟ بس انت جاية اول مرة وانت صغيرة وعليك العين..."

(ام م ن): عمرها 51 سنة، لديها 3 بنات وولدين. تسكن في قرية نحالين، بدأت تعمل كبائعة للخضار منذ 6 سنوات في مدينة القدس المحتلة عندما مرض زوجها، فقد أصبحت المعيلة

الوحيدة للمنزل، وهي عادة تسير اول واحدة في مجموعتها، فهي تملك جرأة كبيرة وتتوكل على الله فتقول: "انا بقول يا الله، بتوكل عليك، كل ما بطلع من باب داري بقول يا الله ، ولما بمشي بقول يا الله وربنا بستر".

وأهم ما يميز (ام م ن) هو هدوؤها في التعامل وصراحتها وجرأتها، فقد ذهبتْ إلى مكتب البلدية وطلبت من المسؤول- بعدما صادر موظفو البلدية بضاعتها- ان يعيد لها بضاعتها، فوافق على أن لا يراها مجددا. لكنها قالت له: "لا بدك تشوفني، حكالي ليش؟ حكيتلو لاني بدي اوكل خبز انا وراي عيلة وبنات، وجوزي عيّان ورح تشوفني كتير"، وقد سمع أحد الموجودين ما قالته فقال لها: "برافو عليكي يا حجة مش تقليلو لا ومش رح تشوفني وخلص قوليلو اه بدي اجي واقعد واعيش". فهذه المرأة تعرف حقها حق المعرفة وتدافع عنه بكل جرأة وفخر وهدوء، وفي النهاية تحصل على ما تريد.

(ام ر): تسكن (ام ر) في مخيم الدهيشة، وعمرها لا يتجاوز الخمسين عاما، لديها ثلاثة اولاد وبنت، بدأت تعمل عندما سجن زوجها، فقد بقي زوجها اسيرا للاحتلال الصهيوني لمدة 5 سنوات، فمنذ ذلك الوقت وهي تعمل، أي منذ حوالي 18 سنة. وعندما سألتها لماذا تعمل إلى هذه اللحظة قالت:

> "الايام هاي الطريق مش زي زمان، اول ما بديت اشتغل كانت الطريق سهلة، وقررت اني اضلّ اشتغل لانه زادت الالتزامات وزادت المصاريف، فكرت انو لما يكبرو لولاد رح يخف الصرف بس لما كبرو زاد صرف ولادي . لما اشتغلت ما كانوش بالجامعة الحين هم بالجامعات بدهم مصروف وجوزي دخلو بكفيش لحاله، طبعا بكفيش بالمرة ولا 1% بكفي".

وعند سؤال (ام ر) عن سبب عملها في مدينة القدس المحتلة أجابت:

"لما فكّرت اشتغل، رحت لجارتنا وسألتها اذا في شغل إلي معاها، فحكتلي تعالي معايا واشتغلي زيي في التنظيف، وهي كانت تشتغل في القدس، وعشان هيك ما فكرت باي شغلة تانية، وطلعت معها وضلّيت في القدس لهلا".

ان سبب إصراري لمقابلة (ام ر) هو معرفتي من (أم م ن) بأنها امرأة قوية تحمل كماشة معها لتفتح بها السياج، لكي تستطيع النساء المرور من خلاله، لكن عندما سألتها عن الموضوع قالت: "اترديش بوخدش كماشة، اذا بدي افتح الشيك، بيكون في سلك وبسحبه، او بلاقي شغلة مرمية على الارض من ورا العمال وبفتحه فيها".

و(ام ر) تعبر خفيةً إلى مدينة القدس المحتلة عن طريق معبر عناتا وترجع إلى بيتها في نفس اليوم، فأضافت:

" أنا ما بقدرش انام لانو في ولادي وكمان بنتي في الدار، وما بحب انام بره البيت بالرغم اني بتغلب، والابو ما رح يسد محلي، الابو يعني في إله تخصصات والام في إلها تخصصات بشغلات تانية، البنت بحاجة لامها وكمان الولد بحاجة لامه، يعني بدو يدير بالو عليهم؟ مش راح يقدر يدير باله عليهم، وكمان الاولاد بجسرو على الام اكتر من الابو، عشان هيك بقدرش انام بره، وكمان انا لما برجع على داري برجع حوالي الساعة 2 بعد الظهر، طيب وين اروح انام؟ وكل الوقت هاد وين اروح؟ في الشواع أدور عشان انام برة؟ بعدين جوزي بقبلش".

ففي البداية شعرت من (ام ر) بأنها هي التي لا ترغب في المبيت خارج منزلها لكني وجدت بأن زوجها هو الذي يمنعها.

(ام عم): عمرها 57 عاما، تسكن قرية نحالين، وهي تعمل أحيانا في التنظيف وتبيـــع خضـــارا في ايام أخرى. تزوجت عندما كان عمرها 15 عاما رغما عنها من شـــاب عمـــره 28 عامـــا. وسمعتُ من النساء الاخريات بأن (ام عم) "عالبركة"، لكنها تملك مهارات خفية. فهي تســـتطيع أن تدير أمورها وأمور عائلتها، فتقول عن سبب انخراطها في سوق العمل: "جـــوزي مـــريض وختيار وعالبركة وولادي زغار، عشان هيك انجبرت اشتغل، الي 30 سنة بشتغل في القـــدس، وكنت آخد ولادي وجوزي كمان عند اليهود يشتغلو، وقعدت بعد ما تجوزت 3 سنين مـــا فـــش عندي دار وبعت الذهبات وبنيت". (فام عم) هي التي كانت تأخذ زوجها واولادها إلى العمـــل، وليس زوجها هو الذي يأخذها، وهي التي قررت بيع ذهبها من أجل البناء، وهذا يدل على أنهـــا المدبرة. وفكرة الخلط في العمل بين التنظيف وبيع الخضار يدل أيضا على عقل مـــدبر، فهـــي تبيع الخضار عندما لا تتمكن من التنظيف، فايجاد الزبائن طيلة ايام الاسبوع ليس بالأمر السهل".

(ام م): تعيش في قرية ارطاس وتبلغ من العمر 63 عاما، بدأت تعمل كبائعة في مدينة القـــدس المحتلة منذ عشرين سنة لتساعد في تغطية مصاريف الاسرة، واعجبتني (ام م) عنـــدما تحـــدثت عن رفض اولادها لعملها فقالت: "بقلهم مَنا يمّا في الدار هان انا قاعدة وهناك في القدس قاعـــدة، الواحد بجيبلو بهاليوم 200 شيكل، وبدي اساعدكو". ومن هنا شعرت بارتياحها إلي، فالحـــديث عن الدخل بدون السؤال يعبّر عن مدى الثقة والارتياح للآخر. ولفت نظري قوة العلاقة بين (ام م) و(ام أ) فعندما سألت (ام م) عن النساء الذي تذهب معهن أجابت: "انـــا و(ام أ) منـــروح مـــع بعض، وهي الها اخت وانا الي مرت اخو هدول منروح معهم بس اهم اشي اهم اشي انا وياهـــا نروح مع بعض".

(ام أ): عمرها 50 سنة، لديها 5 اولاد و3 بنات، تسكن قرية ارطاس بدأت تعمل منذ عشرين سنة لتساعد زوجها في المصاريف، اهم ما يميز (ام أ) شعورها كفلسطينية تجاه مدينة القدس المحتلة فقد قالت:

> "القدس نفسها هي في قلوب الناس اجمعين بدون نقاش عن معزتها هي ثاني مرتبة بعد مكة، ربنا حطها ثاني مرتبة بعد مكة ومستحيل الشعب الفلسطيني ينمنع عن القدس لانو اذا انمنعنا عن القدس انمنعنا عن بلدنا... فما في نقاش انو الشعب الفلسطيني ينساها لو منط عن الجدران منروح عليها...

(مر): تعيش في مدينة الدوحة، وعمرها 50 سنة، لديها ولد وبنت، وبدأت تعمل كعاملة تنظيف منذ اكثر من عشر سنوات بسبب مرض زوجها لتعيل اسرتها، وضعها الصحي صعب، فهي تحمل داء السكري والذي اثّر سلبيا على الكليتين، ولما بدأ وضعها الصحي بالتدهور قررت اصطحاب ابنتها (ح) معها لترافقها إلى عملها. وعندما زوّجت ابنها اعتكفت عن العمل وقررت اعطاء ابنها مسؤولية اعالة الاسرة بسبب وضعها الصحي الصعب.

(ح): ابنة (مر)، عمرها 18 سنة، وهي اصغر امرأة سنا قابلتها، وهي الوحيدة العزباء من بين مجموعة عينة الدراسة. رافقت امها للعمل في مدينة القدس المحتلة منذ 3 سنوات لتساعدها. خرجت من المدرسة من الصف التاسع، وهي حاليا لا تعمل. وأحبّت (ح) تجربة العمل في المدينة، فترى بأن الذهاب إلى المدينة فيه مخاطرة مثيرة وتغييرا للأجواء. وتحب (ح) الذهاب إلى مدينة القدس المحتلة لوحدها لكي تعمل وبدون أمها، لكنها راضية بقرار أمها الذي يمنعها من الذهاب بدونها لأنها تخاف عليها.

واذا صنفنا عينة الدراسة كفئات اجتماعية مختلفة من حيث العمر، مكان السكن ونـــوع العمـــل، ستظهر النتائج التالية:

العمر	أقل من 20	بين 30 و50	اكثر من 50
العدد	1	1	13

مكان السكن	قرية	مدينة	مخيم
العدد	9	2	4

نوع العمل	بائعة	عاملة تنظيف	بائعة وعاملة تنظيف
العدد	6	8	1

ومن خلال التصنيف المنهجي لعينة الدراسة فإننا نجد على سبيل المثـــال أن مجموعـــة النســـاء تتوزع من حيث العمر بحيث كانت أغلبية النساء (13 امرأة) من فئة (فوق سن 50 عام)، ممـــا يعني أن هناك حساسية لذهاب النساء الأصغر سنا للعمل في مدينة القدس المحتلة عـــن طريـــق العبور الخفي. كما لوحظ أيضا أن عمل العينة ينقسم مناصفة تقريبا بـــين عـــاملات التنظيـــف والبائعات. كما لوحظ أن غالبية عاملات التنظيف يسكنّ في المخيمات، اما البائعات فيسكن فـــي القرى حيث تمتلك الأسر عادة الارض للزراعة ومن ثم تسويق المحصول. وفي سياق البحـــث سنفحص مدى تأثير هذه المتغيرات على سلوك النساء في عينة الدراسة وانعكـــاس ذلـــك علـــى موقفهن ورؤيتهن لذاتهن ولمحيطهن الاجتماعي وسننوه لانعكاس هذه المتغيـــرات فـــي ســـياق الدراسة حيثما يستدعي البحث ذلك.

الفصل الرابع

وصف وتحليل الحالات الدراسية

لقد خلقت النساء الفلسطينيات سياسات عديدة وأنماط مقاومة متنوعة تعينهن على البقاء، ولهذا فإن هذا البحث سيتتبع النشاطات التي تقوم بها النساء الفلسطينيات عندما يقمن بعملية العبور الخفي إلى اماكن عملهن في مدينة القدس المحتلة. فالعبور الخفي عن أساليب السيطرة الصهيونية عبارة عن عبور غير قانوني من حدود دولة إلى دولة أخرى، لكن العبور الخفي في فلسطين له خصوصية وهي اعتباره عبور في نفس الارض، فيعتبر الاحتلال الصهيوني الفلسطينيين العابرين خارجين عن القانون لعبورهم من وطنهم إلى "اسرائيل". لكن الفلسطينيين يعتبرون وجودهم في مدينة القدس المحتلة وإن كان عبر العبور في الخفاء حقا شرعيا لهم، لإيمان الفلسطينيين بحق العبور والتواجد في وطنهم الذي سُلب منهم رغما عنهم. لكن وبناءً على رؤية سكوت وبسبب التفاوت الملحوظ في موازين القوى بين الاسرائيليين والفلسطينيين، فإن الفلسطينيين يلجؤون إلى العبور في الخفاء لأنهم لا يستطيعون المطالبة في حقهم علانية لأنهم يعلمون بأن نتيجة المطالبة هي الخسارة بلا شك، ولذلك فهم يعبرون إلى اماكن عملهم في الخفاء عبر حواجز الطرق والمعابر والشيك والذي يعتبر الجدار المؤقت (سكوت، 1995).

ففي هذا الفصل سأقوم بعرض نتائج المقابلات وتجربتي الشخصية للعبور الخفي ونقاشهما بناءً على أهداف وأسئلة البحث والتي عُرضت بشكل تفصيلي في الفصل الاول، استنادا على ثلاثة محاور رئيسية وهي: النساء الفلسطينيات والسيطرة الصهيونية. ففي هذا القسم سيتم التعرف على كيفية تعامل النساء الفلسطينيات مع أساليب السيطرة الصهيونية من حيث كيفية وصولهن

إلى مدينة القدس المحتلة، فقد تم التعرف على أسلوبين تمكنهن من العبور وهما: أسلوب المجموعة المنظمة، وأسلوب المخاطرة الفردية. كما وسنركز على ماهية ردة فعلهن عندما يتم القبض عليهن من قبل جنود الاحتلال الصهيوني، وسنتطرق إلى أساليب تصرفاتهن داخل مدينة القدس المحتلة لتجنب الاشتباه بعدم قانونية وجودهن في المدينة لعدم حوزتهن على التصاريح التي تأذن وجودهن في ذلك المكان، ومن ثم كيفية الرجوع إلى بيوتهن. والمحور الثاني سيركز على كيفية تعامل النساء الفلسطينيات مع علاقات القوى الداخلية، فقد بيّنت تجارب النساء اختلافات ملحوظة في طريقة تعاملهن مع ظروفهن الاجتماعية فكل واحدة تتعامل مع المجتمع الذي يحيطها بناءً على ظرفها. والمحور الثالث سيناقش كيفية تأثير تجربة النساء على ذواتهن.

فقد تبيّن بروز حوافز عدة تدفعهن للاستمرار في المخاطرة بالرغم من المجازفة وإمكانيات الفشل، فالعامل الاقتصادي ليس هو الحافز الوحيد لإصرار النسوة على مواصلة مسيرة العمل في مدينة القدس المحتلة وإنما مسائل حفظ الكرامة والتعوّد والشعور المختلف لمدينة القدس المباركة، وإيجاد المتعة لذوات النساء هي أيضا في الحسبان.

فبالاستعانة بنظريات ميشيل دي سيرتو حول الاستراتيجية والتكتيك (دي سيرتو، 1984)، وجيمز سكوت حول المقاومة (سكوت، 1995)، وعاصف بيات حول التجاوزات الهادئة (بيات، 2009)، يمكن أن نفهم بشكل أعمق فعل ونشاطات النساء الفلسطينيات، فبناءً على رؤية دي سيرتو يمكن مقاربة جدار الفصل العنصري بما يتضمنه من نقاط عبور ونظام مراقبة بصرية والكترونية وقوات عسكرية ومناطق حماية كهربائية وطرق لسير الدوريات ووصفه بالاستراتيجية التي يمارسها الاحتلال الصهيوني ضد الفلسطينيين لأنه عبارة عن حاجز منتشر في مناطق معينة، فالجدار يحدد من إمكانيات حركة الفلسطينيين ويضبطهم بهدف فرض السلطة

وتكريسها بغية الاستبعاد والفصل والسيطرة والضبط وفـرض الرضـوخ والانصـياع وقبـول سياسات الاحتلال الهادفة لتمرير سياساته ومخططاته والحدّ من قدرة الفلسطينيين على المقاومة، وفي المقابل يمكن اعتبار نشاطات وتصرفات النساء لتخطي تلك الاسـتراتيجية والنجـاح فـي العبور من وإلى مدينة القدس المحتلة بالتكتيك (دي سيرتو، 1984).

واستناداً إلى نقاشات بيات يمكن اعتبار نشاطات النساء الفلسطينيات من التجاوزات الهادئة، لأنها تمثّل ردات فعل الضعفاء السرية، وتعبّر عن معارضة للوضع الراهن بالرغم من أنها لا تقصـد المقاومة بشكل مباشر، لكن تراكم النشاطات يمكن أن يؤدي إلى تغيرات على حياة النساء كأفراد بحصولهن على الدخل المادي الذي يساعد على بقائهن وبقاء عائلاتهن، والتغيـر الآخـر الـذي سيحدث هو استمرار الحياة الطبيعية في مدينة القدس المحتلة رغما عن الاحتلال الصهيوني الذي يهدف إلى إبقائها فارغة من الفلسطينيين (بيات، 2009). ومن خلال استخدام النظريتين أعـلاه يمكننا نقد تعريف سكوت حول المقاومة حيث يدعي فيها ضرورة بروز القصد من وراء الأفعال لكي يتم الحاق معنى المقاومة عليها (سـكوت، 1995). فتلـك النظريـات ستشـكل الإطـار المفاهيمي لفهم وتحليل العلاقة الجدلية بين الصهيونيين والفلسطينيين الموجودين فـي فضـائين مختلفين ومتناقضين في المصالح: فالطرف الاول يملك قوة السيطرة، والآخر فإنه يتحـدى هـذه السيطرة من أجل البقاء الإنساني الحر.

المحور الاول: النساء الفلسطينيات والسيطرة الصهيونية

تكتيكات الوصول إلى مدينة القدس المحتلة:

عند ساعة معينة بعد منتصف الليل تبدأ مخاطرة النساء اللواتي يعشن في قرى بتير والخضر ونحالين ومخيم الدهيشة ومدينة الدوحة – قضاء بيت لحم– فكل امرأة لها سائقها وعربتها، فيبدأ سائق التاكسي بالتوجه إلى بيت كل امرأة، ليجمع النساء وليأخذهن إلى المعبر المتفق عليه. فإن (ن) و(ام عل) و(ام م ن) و(ام ا) و(ام م) و(ام عم) و(س) يتوجهن إلى معبر الزيتونة في مدينة العيزرية، اما (ام ر) و(أم ع) و(ام ح) في الوقت الحالي يتوجهن إلى معبر عناتا، لكن (م) و(مر) و(ح) يذهبن إلى قرية واد فوكين الفلسطينية القريبة من مستعمرة سور هداسا. وعند الوصول إلى نقطة التماس التي تفصل الضفة الغربية ومدينة القدس المحتلة تبدأ المخاطرة الحقيقية.

وبسبب عبوري في الخفاء مع مجموعة من النساء عن طريق معبر الزيتونة يمكنني أن أصف المعبر الذي يفصل بين مدينتي العيزرية الفلسطينية والقدس المحتلة بالتالي:

> "فقد وقفت السيارة التي أقلّتنا في شارع عادي مزقّت الساعة الثالثة صباحا، وعلى يسارنا كان برج المراقبة، واستغربت من شدة الإنارة في المكان، فقد تخيّلت مكانا معتما، وبسرعة شاهدت الرجل الجالس بجانب السائق اول شخص ينزل من سيارتنا، وبدأنا ننزل بعده، وقالت لي (ام عل): "الحقي بسرعة"، وبدأنا نركض واحدة وراء الأخرى فعلى يميننا كانت أرضا مزروعة واسعة وعلى يسارنا كان هناك سور أقصر مني قليلا، ولهذا قالت لي النسوة بأن أُنزل رأسي حتى لا ترانا الكاميرا، وعندما بدأنا بالركض بجانب السور شعرتُ بأن الانارة اشتدّت أكثر فقلت: "ضوّا البرج". و(ن) كانت قبلي واسكتتني وقالت: "هش ولا كلمة...". ونحن نركض الواحدة تلو الأخرى، كانت النسوة يرفعن من أثوابهن قليلا ويركضن بسرعة ويلهثن. وشاهدت شابين ينتظران فسألت (ن) الشابين: "في اشي؟" فقالا:

لا. وفجأة شاهدت الشابين يركضان معنا، لكني لم ارَ الرجل الذي كان معنا في السيارة...وفي هذه الاثناء وصلنا السياج ومسك شاب السياج وبدأنا نمرّ من فوقه صاعدين تلة صغيرة. وقالت لي (ام عل): "امشي بسرعة"، وكان الشاب واقفا ينتظرنا أن نعبر السياج، وبعدما عبرنا، عبر بعدنا ولحقنا...وبعد الصعود قليلا نزلنا نزلة قوية... وقالت (ن): "هلا احنا في امان"، فتوجهنا إلى مكان يوجد فيه أكياس كبيرة وطوب فعلمت أنه معمل طوب وجلسنا، فجلست النسوة على الطوب، وكنت أسمع صوت تنفسهن بوضوح، اما انا فبقيت واقفة من الخوف ونظرت إلى ساعة يدي وإذ بها تؤشر على الثالثة وخمس دقائق، واتصلت بزوجي لأطمئنه، فشعرت بالارتياح بعض الشيء حينها".

اما معبر عناتا الذي يفصل بين مدينتي عناتا والقدس المحتلة فتصفه (مر) عاملة التنظيف التي تسكن مدينة الدوحة وتبلغ من العمر 50 عاما واعتكفت عن المخاطرة منذ 6 شهور بسبب وضعها الصحي السيء كالتالي:

"يوم كنا نروح من طريق عناتا كنا نطلع من الدار الساعة 4 الصبح ونوصل 4 ونص، تكون الدنيا عتمة ما بتشوفيش إشي حواليك، وننزل الواد نمشي فيه اكتر من ربع ساعة وبعد الواد نمشي كمان مسافة، وبعدين كنا نطلع جبل كبير، ونطلع كمان جبل لنصل منطقة التماس اللي هي الشيك، اللي بفصل بين الضفة والقدس، منزرق من تحته وبعدين منقطع الشارع الرئيسي الكبير، وهاد الشارع بمرقو منه جيبات الجيش، واللي بشوفو هناك بزقطو، وبعد ما نقطع الشارع منطلع كمان جبل لمدة ربع ثلث ساعة تنصل."

وطريق مستعمرة سور هداسا تصفها (م) البالغة من العمر ثلاثة وثلاثين سنة وتسكن مخيم الدهيشة وتعمل في مهنة التنظيف على طريقتها فتقول:

"بنزّلني التاكسي في واد فوكين (قرية فلسطينية) بكون في طريق ترابية ومنمشيها بعدين بتكون الطريق كلها زيتون بعدين منبلّش شوي شوي نطلع الجبل تنصل

الشيك اللي بفصل بين واد فوكين ومستوطنة سور هداسا، منقطع الشيك ومنصير في المستوطنة، ومنمشي في المستوطنة تتصل المحطة، ومنركب في الباص".

واختيار كل مجموعة لمعبرها ليس بالصدفة وإنما يعتمد على اعتقاد النساء بسهولة المرور كما توضح (ام م ن) والتي تسكن في قرية نحالين وتعمل كبائعة للخضار والتي تبلغ من العمر احدى وخمسين سنة:

"منفضّل نمرق من الزيتونة لأنها أقرب النا وأسهل، مرة رحنا عن طريق عناتا، فيها الشارع الرئيسي كبير وبدك تعدّي مسافة كبيرة وبسرعة، وبعدين بدك تطلعي هيك قلاع ع ظهر جسر، وبعدين بدك تقطعي شارع رئيسي كبير ومثلث، والشباب اللي بشتغلو عند اليهود بيكون معهم كماشة فبقصو الشيك من محل وبرجعو اليهود ايزبطو، واليوم التاني بقصو الشباب من محل تاني وهيك، وهاذ الشيك صعبة كتير دخلتو غير المسافة اللي بدك تمشيها من قرية حوسان للبلد مشي، عشان هيك منفضّل الزيتونة".

اما عاملة التنظيف (ام ر) والمقيمة في مخيم الدهيشة والبالغة من العمر خمسين عاما فتقول:

"طريق الزيتونة مكشوفة، فإذا انمسكنا فيها فش مجال إنه نرجع، بحشرونا، عشان هيك بحبّش أروح عليها انا، بس عناتا لا، اذا مسكونا ورجّعونا منعاود نرجع كمان مرة مش زي الزيتونة، بدي احكي قصة الثلجة الكبيرة عشان افرجي انه لو ما عرفناش نمرق كان انجلطنا بعد البهدلة، يوم اثلجت يوم الخميس السنة الماضية يوميتها طحنا الواد انا وأخرى وحدة، وفي الشتويات بتكون الدنيا كتير عتمة، والله بقينا نكون ماشيين وما تشوفي قدامك، ويوم طحنا كانت مطر ما وقفتش، وطلعنا من الشيك وبس وصلنا الشارع العمومي مسكنا الجيب والدنيا برد برد برد برد، انا وياها هالمرة وقّفونا عالشارع بعد ما طلعنا الطلعات هاي والجبال والخبصة والمطر، اطلعنا ومش قادرين نفتح عينينا، وكبظونا وحمّلونا في الجيب، وين ودّونا؟ ودّونا على محسوم الزيتونة، وقعّدونا شوي زغيرة وحكولنا روّحو، وشفنا في الزيتونة فيها جيش قاعدين في الجيب، واخذنا سيارة عن المحسوم ورحنا ورجعنا على عناتا

وطحنا الطريق اللي اجناها أخرى مرة، وايش لما طحنا الثلج صار اقوى، كنا صرنا واصلين كيف بدنا نروّح وفش سيارات عبيت لحم، ما إلنا الا نكمل مشوارنا عالقدس، ويوم ما رحنا متنا من المطر والبرد والسكعة بس نشكر الله وعودنا مرقنا وكيفنا..."

وعند اول مقابلة أجريتها مع بائعة الخضار البتيرية (ام ع) قالت:

"الزيتونة الكيت أسهل محل ممكن نزقّ منه، عشان الزيتونة لسّا فش فيها جدار والشيك اللي منمرق منه قريب من موقف الباصات". لكن بعد سنة تقريبا وعندما حاورتها مرة أخرى قالت: "في الزيتونة صارو يعرفونا ويمسكونا كتير، يعني كل يوم او يوم بعد يوم يمسكونا، ومن بعيد ينادو علينا بأسامينا ويقولولنا ارجعو، يعني صارو يعرفونا عن غيب، فقررنا نغيّر الطريق تيصيرو مغيّرين الشفت، لأنه الدوريات كل شهر او شهرين بتغيرو، فهلا منروح عن طريق عناتا، وعناتا فش فيها برج بس في الزيتونة في برج مراقبة وفي كمرات، اما هناك ما فش، في دوريات ملتزمة، بس بتروح دورية وبتيجي دورية".

فكما وضّحت حمامي في دراستها بأن الفلسطينيين يقومون بتغيير تكتيكاتهم تبعا للظروف (حمامي، 2005) فالنساء أيضا يغيّرن من المعابر عندما يشعرن بأن فرصتهن لإنجاح عملية العبور تقلّ حتى ولو كانت الطريق أصعب، لكن وكما أشارت (ام ع) فهن سوف يحاولن العبور عن طريق الزيتونة بعد فترة من الزمن ويكتشفن الوضع، فإذا تغيّر الجنود ستكون فرصتهن للمرور أكبر وسيعاودن العبور عن طريق الزيتونة.

وتوقيت المخاطرة أيضا يكون مقصودا، فتضيف (أم ع) عندما كانت تعبر خفية عبر معبر الزيتونة:

"معبر الزيتونة بفتح الساعة 4:30 وإحنا منصل هناك قبل الأربعة عشان ما يبقاش في جيش ملتزمين. بس في كل وقت محتمل يكون في جيش، تبقى دورية، دورية

بتروح وانت بتزقّي. بس لما ببقى المعبر فاتح ببقو واقفين بتحركوش وما منقدرش نمرق".

وتضيف (ام م ن):

"يعني احنا كنا نطلع بدري عشان الساعة 3 الصبح بخلص شيفت الجندي اللي بكون عالمنطاد اللي بكون على معبر الزيتونة، وخلال 10 دقايق بنزل هداك عن المنطاد وبطلع التاني واحنا منمرق بهاي الفترة، بس برضو الكمرات بكونو شايفينا..."

وهنا نلاحظ قدرة النساء على جمع المعلومات اللازمة والضرورية عن الجهة التي تطبّق أساليب السيطرة أي الاحتلال الصهيوني مثل وقت مرور الدوريات، طبيعة سلوكهم، وبالتالي فإن النساء يستخدمن المنطق والعقلانية للتعرف على استراتيجيات الحراسة على الحواجز، ومن ثم يستخدمن الأساليب المناسبة من أجل المرور بنجاح عن طريق ترقبهن فرصة احتمال عدم وجود الجنود، فيحوّلن هذا الحدث إلى فرصة تمكنهن من العبور، وهذا الكلام يعيدنا إلى حديث دي سيرتو حول تكتيكات الضعفاء، فالنساء الفلسطينيات اللواتي لا يملكن القدرة على مواجهة استراتيجية الجدار والحواجز يجدن فاعليتهن في لحظات معينة من خلال الالتفاف على تلك الاستراتيجية وتخطيها بطرق غير مباشرة وأحيانا عبر تحديها باختراق تفاصيلها، فالنساء ينتهزن الفرص لنيل مكاسب خاصة، فيعبرن الحدود في ساعة متأخرة في الليل كي يقلّلن من فرصة اصطدامهن بالجنود، وليتمكن من العبور إلى الجهة الأخرى (دي سيرتو، 1984).

وبعد هذه الرحلة تكون الساعة اقتربت من الخامسة صباحا كما تشير (ن): "منصل على الخمسة إن الله بسهلها علينا، قبل وذان الصبح، منتخبى تحت حيالله دار ومنضل قاعدين بعيدين عن

الجيش وعن الشارع الرئيسي، تتعرف انو السيارات والباصات تحـــركن، ومنلاقـــي الباصـــات ومنطلع في الباص عالقدس". واحيانا يصلن أبكر من هذا الوقت فعندما عبرت خفية مع النســـوة وصنا الطرف الآخر الساعة الثالثة وخمس دقائق صباحا، وجلسنا عند معمـــل طـــوب، ننتظـــر الحافلات ان تتحرك. لكن العبور إلى الطرف الآخر يبقى غير آمنا، فتظل النســـوة تترقـــب اي لحظة صدام مع الجنود فتقول (س): "احنا في امان الا اذا بيجو الشباب وبلحقوهم الجيش، فبيجو الجيش يفتشو عن الشباب، واذا اجو يفتشو منشرد لفوق". وتضيف (ام م ن): "بس بضـــل فـــي خوف، الا لتنزلي باب العمود، كتير منكون في الباص والجيب بوقّف الباص وبنزلنا، بقلنا انتـــو ضفة، وبنزلونا عالمحسوم وبرجعونا".

"وبعد ما نقطع منتصل في الشوفير منقولو وصلنا جيبلنا الخضرة ومنزلها عالسوق وكل واحدة بتعرف محلها منقعد ومنبسط في هالخضرة" تقول (ام ع). اما (ام م ن) فتقول: "منحب نصل بدري عالقدس عشان نشتري خضرتنا ونقعد نبسط فيها." وكل هذه التصرفات هي محسوبة وهدفها هو تقليل الاحتكاك بالجنود قدر الإمكان، حتى يستطعن الوصول إلى مكان العمل بامان.

فبعد مقابلة عدد من النساء اللواتي يعبرن في الخفاء إلى مدينة القدس المحتلة اتضح لي أسلوبين تستخدمهما النساء للتمكن من الوصول إلى مكان عملهن. الأول هو استخدام تقنية المجموعة المنظمة لعبور الحدود والثاني هو المخاطرة الفردية عن طريق التماهي بالشكل والتصرفات لخداع الجيش والاسرائيليين المدنيين من أجل العبور الآمن.

أسلوب المجموعة المنظمة:

يُلاحظ أن النساء في محاولة لمواجهة المخاطر يلجأن إلى الانتظام في عمل جماعي، الأمر الذي يوفّر لهن القدرة على المناورة ومواجهة أية صعوبات قد تواجههن أثناء محاولة عبور وتخطي إستراتيجية الاحتلال الصهيوني، وكما تقول (ام ر): "منروح مع بعض عشان نشعر بالامان"، اما (ن) بائعة الخضار البتيرية فتقول: "منروح مع بعضنا، وإحنا لحالنا منخاف ما منستجريش، إذا بدهنّش يطلعن بطلعش، احتياط الواحد بيخاف"، وتؤكد (ام م ن) على هذا الكلام وتقول: "اه منقدرش نطلع لحالنا الطريق بدها رفق يمّا، يعني نسوان منضل في النهاية ولاية يعني". فالعمل الجماعي المنظّم يعطي شعورا بالقوة وكأن المجموعة تولّد قوة جمعية تختلف عن الطاقة الفردية. فتفاعل المجموعة الصغيرة بالتنظيم غايته تحقيق الهدف والوصول إلى الجهة الأخرى. غير أن النساء في المجموعة يشعرن بضعفهن اذا كن منفردات كما أشارت النسوة وقوتهن تأتي من الشعور على أن المجموعة قادرة على حمايتهن. مع أن النساء يدركن بأن المجموعة قد تكون سببا للقبض عليهن، لأن الاحتلال الصهيوني يمكن أن يتغاضى عن عبور بعض الافراد، لكنه لا يمكن أن يتغاضى عن عبور مجموعة تحوي على عدد كبير من الافراد. فالمعنى الذي تعطيه النسوة للمجموعة يختلف عن الحقيقة ولهذا تصرّ النساء على العبور في مجموعات ليشعرن بالامان بصورة أكبر حتى ولو قلّت فرصة وصولهن إلى مكان العمل. فإضافة إلى ما قالته جونسون عن شعور المرأة اللاجئة بالقوة التي انتجتها الظروف التعيسة التي عاشتها، فتلك الظروف الصعبة التي عاشتها، عادت عليها بالمنفعة الشخصية عن طريق تقوية شخصيتها واعطائها شعورا بالقوة (جونسون، 2007)، ففي بعض الاحيان يتكون هناك شعور جماعي بالقوة، حيث أن انتظام النساء في مجموعة يشعرهن بقوة وتكافل وعدم الشعور بالمسؤولية الفردية. ومع ملاحظة اختلاف مستويات القوة بين نساء المجموعة الواحدة، لكنهن بقوة

المجموعة يتحدين الحواجز والجنود بالرغم من شعورهن بالضعف بشكل فردي على المستوى الاجتماعي.

والترتيب والتخطيط المسبق يبرز بين النساء، فتقول (ام ع): "وبتصل عالشوفير تبع القدس من المغرب وبقوله هي خضرتنا منّا نحطّها عند الكازية الفلانية عشان ايدخللنا اياها وبقوله بكرة بأكّد عليك بعد ما نقطع"، أما (ن) فغيّرت من أسلوب نقل خضارها بواسطة سيارة القدس وقالت: "الحين ما بتوفيش معي انقل الخضرة من بتير للقدس، السيارة بدها توخذ 150 شيكل وبتوفيش معي، هلا صرت اشتري بضاعتي من القدس، في ناس تعرّفت عليهم مناح، بيجيبو خضرة بلدية وانا بشتري منهم"، فالتغيير يأتي بناءً على التغيرات المحيطة، فقد اوجدت (ن) سهولة أكثر عند شرائها بضاعتها من مدينة القدس المحتلة، ولهذا استخدمت ذلك الاسلوب. فهي لا تملك سوى حقلا صغيرا تزرعه، ومعظم الاوقات كانت تشتري خضارها من سوق بيت لحم المركزي، ولهذا فهي تفضل شراء بضاعتها من مدينة القدس المحتلة في الوقت الحالي. لكن (ام ع) و(ام ح) اللتان تملكان حقولا شاسعة، فإنهما لهذه اللحظة ينقلن بضاعتهن من قرية بتير إلى سوق مدينة القدس المحتلة.

وعندما تنشغل (أم ع) بالعمل في أرضها فهي لا تذهب للعمل لبيع منتوجها، وبالتالي تعتكف المجموعة كلّها عن الذهاب، فتقول: "إحنا عادة منروح كل احد وثلاثاء وخميس، بس اليوم مع انه الاحد بس ما رحناش عشان عندي حراث". فسيطرة (أم ع) على المجموعة تظهر من هذا الموقف، فقرار عدم الذهاب يوم الأحد اتخذته بناءً على مصلحتها، لكن المجموعة استجابت لقرارها وبقيت في المنزل. ونفس المشهد حدث امام عيني عندما ذهبتُ لزيارة (ام عل) التي تعمل في مهنة التنظيف وتعيش في قرية الخضر والبالغة من العمر إحدى وستين سنة لترتيب

مخاطرة العبور مع مجموعتها، فعندما رن هاتف (ام عل) استأذنت منـــي وذهبـــت تـــرد عليـــه وعندما عادت الي قالت: "هاد الشوفير وبقول الطلعة مش بكرة، لبعده، قال (ن) عندها حفلة ابنها اللي تخرج ومش فاضية تروح، شايفة؟ قال عندها حفلة، شو بدي اسوي؟ هلا تييجي ابني بتصل في اليهودية وبقلّها بدي آجي يوم الاربعاء، وتبعت الاربعاء بأجلها ليوم الخمـــيس. شـــو بـــدي اسوي؟" فسيطرة (ن) بائعة الخضار أيضا كانت واضحة في هذه المجموعة. والجـــدير بالـــذكر بأن (ن) كانت تعبر في الخفاء مع مجموعة (ام ع)، حيث كانت (ام ع) هي القائدة، وعندما سألت (ن) عن الشخصية القيادية في مجموعتها عند اول مقابلة أجابت: "الكبيـــرة بتقـــرر"، لكـــن (ن) غيّرت المجموعة وأخذت هي مسؤولية القيادة على عاتقها في مجموعـــة (ام عـــل) و(ام عـــم)، بالرغم من أن (ن) هي أصغر عمرا من (ام عم). فيبدو بأن العمر لا يكون الحاسم فـــي معظـــم الاوقات، فالظاهر بأن شخصية (ن) لم تنسجم مع المجموعة الاولى، فقوة شخصيتها منعتها مـــن الرضوخ لقرارات (ام ع)، ولهذا أخذت قرار تغيير المجموعة بناءً على الانســـجام والمصـــالح. أما (ام عل) فقد غيّرت من مجموعتها أيضا ولكن لأسباب مختلفة فتقول:

> "مرة علقت في الشيك وما عرفت اخلّص حالي، وايديّ تجرّحن، والدم يطيح، والنسوان طلعن، راحن ودشّرني، ولا هو شب الله يخلي عمره ساعدني وفلّتني، وطلعت ومرقت، الا الجيب بصفّ، واللي في الجيب طلع ابن حلال حكالي شو جابك في هالبهدلة؟ كنو عربي ولا ابصر شو، قلتلو جابني التعاسة، اجيت اشم الهوا يعني؟ ولما شاف الدم وحالتي مرّقني، ومن بعد هالحادثة بطّلت اطلع معهن وصرت اطلع مع البتيريات".

فقصة (ام عل) ترويها بحزن، لأنها لم تتوقع من نساء مجموعتها أن يتركنها وحدها ويذهبن، فالقيم الاخلاقية لا بد وأن تبقى فتقول (ام م ن):

> "انا لما اكون ماشية مش الله هم نفسي يعني بكون ماشية معك بصيرش اروح وادشرك، بقدرش لازم نضل متماسكين تنصل الامان، وحتى لما نصل باب العمود منحكي الحمدلله على السلامة لبعض، منحكي الحمدلله اللي وصلنا بالسلامة".

وعملية السير في مقدمة المجموعة عند اختراق الحدود تعتبر معضلة لـبعض النسـاء، فمعظـم النساء يحبذن اللحاق بالأخريات، بينما قائدات المجموعات المتحليات بشخصية قوية وجريئة هن اللواتي لا يكترثن لذلك فتقول (ام م ن): "بخلني النسوان امشي في الاول، عشان بعرفن اني مـا بخاف ولا بهتم، عشان اذا انزقطت يلتهي الجندي فية وهن يتخبن". فهنا يتضـح بـأن عامـل الشجاعة او عدم الخوف من الجنود الصهيونيين كان الحاسم فـي صـنع الفـرد القيـادي فـي المجموعة. فكلام (ام م ن) يبرهن على أن المبادرات تكون محسوبة ولا يفعلها كـل الافـراد، فماذا اذا كانت المبادرات تقصد المقاومة كما يدعي سكوت (سكوت، 1995)؟

وبالإضافة إلى الشعور بالقوة والامان فإن انتظامهنّ في مجموعة يوفّر عليهن المصاريف، فتكلفة نقل الخضار تقلّ إذا تقاسمتها النسوة وكما تشير (أم ع): "شوفير العيزرية بوخد 100 شيكل، اذا كنّا تنتين منقسّم على تنين وإذا ثلاث منقسّم على ثلاث، الطلعة مع بعض اوفر". فالنساء يستفدن من العمل الجماعي لتخفيض المصاريف وتأمين حسّ الجماعة وتفاعلها وتعاونها لإنجاح المهمة.

فكرة تنظيم المجموعة:

لقد حاولت النسوة المذكورات عمل تصاريح تمكنهنّ من العبور إلى مدينة القدس المحتلة عن طريق المعابر الصهيونية، فاستطاعت (ن) و(أم ع) و(ام عل) الحصول على التصاريح اللازمة، لكن التصريح أيضا يعتبر معضلة لأن النسوة لم تتمكن إلا من الحصول على تصريح يسمح لهنّ بالعمل داخل مستعمرة معينة فقط، فتقول (أم ع):

> "مرتين سوّيت تصريح مستوطنة كل مرة 3 تشهر، هادا التصريح منيح إذا دخلتي المعبر، بس مشكلته إنّك بعد المعبر بخمسين متر ممنوع تبيّني التصريح، فلازم نتهرّب تتروح عالقدس، لازم ندخل عن معبر قلنديا ونروح على مستوطنة جفعات زئيف، إذا دخلتي على شقة القدس بوخدو التصريح وبمزّعو".

فبعد الحصول على هذا النوع من التصريح تستمر التكتيكات، فتقول (ام ع): "بعد ما منمرّ مـن قلنديا منطلع في الباص ومنسأل الشوفارية إذا في محاسيم، وإذا في منستنى تيروحـو وبعـدين منطلع في الباص". وتقول (ام عل): "مرة مرقنا من المعبر وكان معنا تصريح المستوطنة، وكنا بدنا ندخل جهة القدس، الا الجندي جاي عنا، فَقلّنا شو بتسوي هون؟ قلناله: منسـتنى اليهـودي ييجي عشان يوخدنا عالمستوطنة". فردة فعل النساء الذكية تمكّنهن من تدبير أنفسهن.

والنساء لا يفكرن دائما بالمواقف الأسهل لكن الاقتصاد يعتبر من الأمور المهمة التي تُؤخذ بعين الاعتبار، فتضيف (أم ع): "التصريح أسهل بس غالي بكلّف الف شيكل لمدة 3 تشهر".

إن عدم قدرة النساء على الحصول على تصريح جعلتهن يفكّرن بوسائل أخرى بديلـة ممكنـة. هكذا ولدت فكرة بناء مجموعة منظمة تمكنهن من مواجهة تحدي العبور. وقد أجمعـت النسـاء

على أن صعوبة الطريق هي أساس فكرة تنظيم المجموعة، ففكرة الاحتياط والتوفير كانتـــا فـــي أيضا الحسبان، وتؤكد (أم ع):

"في الاول باكيناش نرتّب واللي يجمعنا كان الباص، كان في نقلة خصوصي للبيّاعات، ولما صارت الطريق صعبة، صرنا نرتّب ونطلع في سيارة مليانة مع نسوان على القبّة مع الخضرة ونحمّل في سيارة نمرة صفراء، وبعدين صرنا نلف من ابو ديس، وعالشيخ سعد ونمرق من الشيخ سعد، وصرنا نروح على عناتا ونمرق من عناتا، هما يسكّرو من هانا والعمّال يفتحوا من مسربة ثانية وإحنا نلحق العمّال وندخل."

أسلوب المخاطرة الفردية:

تقول (م) عاملة التنظيف ذات الشعر البني الطويل الاملس، والنحيفة الطويلة، تلك المرأة اليافعة التي لا تتجاوز الثالثة والثلاثين من العمر وتعيش في مخيم الدهيشة:

"ما بناسبني اطلع معاهن، هنّ بطلعن على 4:30، او الساعة 3 او 2 الصبح، واذا بدّك تنسّقي مع حدا بيصير قلق بزبطش، وكمان انا لمّا بطلع لحالي مجالي للتهريب بكون أحسن من لمّا بمشي مع النسوان، ولما بكونو مجموعة بيكون بدهم الجنود يقبضو عليهن، بس لما تكون واحدة لحالها بيركزوش عليها كتير".

فقد خلقت (م) أسلوباً يختلف عن كل النساء، وقررت في نفسها بأن إمكانية نجاح العبور وهي لوحدها تكون أكبر، ولهذا تصرّ على المخاطرة الفردية.

وبالنسبة لتفاصيل حياتها اليومية عندما تذهب للعمل إلى مدينة القدس المحتلة قالت:

"الصبح بصحى الساعة 5:30، وبطلع من الدار الساعة 6:00، باخد تكسي طلب لواد فوكين انا من شهر 11 باجي من سور هداسا، قبلها كنت اجي من بيرعونة، يعني ربع ثلث ساعة منكون في واد فوكين، ولما انزل من السيارة بقطع 3 جبال،

انا ما بخافش من الجبال، وما بخاف لحالي. كتير كنت اشوف النسوان اللي يتهرّبن وكانن يسألني لحالك لحالك؟ في الاول ما كاننش يعرفني، بس شوي شوي تعرّفت عليهن في الطريق وكمان واحنا مروحين اذا بتصدف في الباص، وبعد ما أقطع بركب باص بيروح عالقدس، باص 184."

وعندما تحدثَت عن كيفية ذهابها قبل طريق سور هداسا جاءت المفاجأة فقالت (م):

"لما كنت امشي على الشارع كنت أجيبها بنص ساعة، كنت البس بوط سبورت ولبس سبورت وما كانوش ايشكو فية. كنت زي اكني اسرائيلية بسوي في رياضة، انا ما بخاف اسوي حالي زي اليهوديات على الحدود، بالعكس وبعيش الدور كمان، في لبسي وفي تصرفاتي. بس لما كمّلو الجدار صارو يقبضوني على الجسر، الجسر اللي بفصل بين بيت جالا والقدس، بيجوز قبضوني 3 مرات وعشان هيك غيّرت الطريق، انا لما بنزقط في المحل 3 مرات، خلص بغيّر الطريق وبدوّر على طريق تانية، وهديك المرة طلعت من عند رامي ليفي اللي في طريق بيت لحم الخليل، عشان يومها كان في أعياد لليهود وعادة في الاعياد بتكون الطريق صعبة، وكنت مجهّزة حالي كنت لابسة منديل ناعم ولابسة تنورة، ومع انو كان في منطاد موجود الا اني نزلت من سيارة الفورد، وتخيلي هداك اليوم انا كيف كنت افكر يعني انو تخيلي اذا صار حوادث طعن او اشي طيب مهو في منطاد بدهم يصيرو يطلعو علمنطاد من هداك اليوم مين اللي دخل وممكن يطولوني، يعني هاي الطريق خطرة بس رحتها. وقفت عند الموقف وطلعت في الباص الاسرائيلي، ورحت على شغلي".

فالتمويه والتنكر بالشكل والتصرفات كان واضحا من تصرفات (م)، فهي تتحرك تبعا للظروف المحيطة، فتغير من أساليبها عند اللزوم، فعند القبض عليها عدة مرات في طريق معينة تبحث عن معبر آخر. لكن تحايلها لم ينتهِ هنا فأضافت:

"انا اول ما بديت اشتغل جوة كنت أطلع مع واحدة بتعرف عبراني منيح، كنا نأشرلهم ويطلعونا اليهود المارقين في سياراتهم العادية، السكناج بيخلوش المدّينات

في الشارع لحالهن، ولما بطلع في السيارة شو بدو يسأل، بيقول بوكرتوف؟ أي كيف الحال، وين ساكنة؟ وبمشّي حالي".

فعند (م) الجرأة لتوقف سيارة اسرائيليين وتركب معهم معتبرة نفسها يهودية متدينة وتحتاج للمساعدة، بصراحة صُدمت عند سماع هذا التكتيك بما يحمله من جرأة وثقة بالنفس. فكما أوجدت جونسون بأن الظروف الصعبة ولّدت شخصية امرأة قوية لأن تلك المرأة أعطت معانٍ لواقعها ساعدها على بروز تلك الشخصية (جونسون، 2007)، وهذا ينطبق على (م) أيضا. فهي تعيش ظروفا اقتصادية معدومة وهي غير متعلمة، ولديها مسؤولية بيت وزوج وثلاثة أطفال. لكن بالرغم من الظروف الصعبة التي تحيطها إلا أن (م) أثبتت قوة شخصيتها، ووصلت بها درجة القوة إلى التعامل مع الجنود والاسرائيليين من خلال تقمّصها لشخصية المرأة الاسرائيلية لتتمكن من العبور إلى مدينة القدس المحتلة. وطريقة العبور تلك تتطلب قوة شخصية صارمة وواثقة عند اختلاطها بالإسرائيليين لتتمكن من تمثيل دور الفتاة الاسرائيلية بشكل طبيعي وعادي، وذلك لتفادي شكوك الاسرائيليين من معرفة هويتها الحقيقية الخفية. فاستطاعت (م) التغلب على ضعفها من خلال الضبط النفسي، وضبط مخاوفها واقناع حتى الجندي الصهيوني ومن يحيطها في الحافلة الاسرائيلية أنها امرأة لا تحمل معها أي نوع من المخاوف. وأن قوتها تلك تمثّل صورة المحتل الصهيوني القوي. فهي تشعر بقوتها من خلال الفردية وتفضل العبور لوحدها لأنها تستطيع التعبير عن قوة شخصيتها وضبط نفسها عند اللزوم، وهي غير واثقة من أن الآخرين قادرين على ذلك مما يجعلها تنظر إلى نفسها بقوة وبثقة عالية، لكنها لا تنظر إلى الآخرين بنفس الطريقة، لأنها تشعر بأنهم لا يملكون المهارات الكافية للتخفّي في المجتمع الاسرائيلي. فتقول (م):

> "الشباب بكونو قاعدين في الباص وفاتحين اغاني عربي، طيب ما انت عارف حالك عربي ومتهرب يمكن اليهودي يوزّ عنك وانا حكتلهم انتو متهربين ومرة نزّلكو، وبقعدو في الباص وبديونو، ما انتو شايفين يمكن واحد يوز عنكو ويحكي في عرب في الباص، وبتبرمو؟ خلص خليكو ساكتين، بحسّ إنهم ما بعرفو يتصرفو".

ومن خلال الحوار كشفت (م) عن هوية الفتاة التي كانت ترافقها إلى مدينة القدس المحتلة وقالت بأنها اختها، وعندما تم القبض عليهن عدة مرات قررت (م) العبور والمخاطرة لوحدها، وهذا أيضا يعتبر تكتيكا (دي سيرتو، 1984). فهي في بداية مشوارها أقدمت على المخاطرة مع اختها لكنها غيّرت من أسلوبها عندما شعرت بأن إمكانية نجاحها من العبور أصبحت أضعف، ولهذا السبب قررت خوض التجربة بمفردها.

تكتيكات النساء عند القبض عليهن:

احتمالات القبض على النساء من قبل الجنود واردة في أمكنة عديدة، فابتداءً من خط التماس الذي يفصل الضفة الغربية عن مدينة القدس المحتلة ودولة "اسرائيل"، وانتهاءً في مدينة القدس المحتلة يمكن أن يُمسِك الجنود بالنساء متلبسات في قضية "عدم قانونية" وجودهن داخل الخط الاخضر وهذا طبعا ادعاء اسرائيل. فالشعور بالامان غير موجود على الاطلاق، فخلال عملية الزحف على البطون يمكن أن تشعر النسوة فجأة بركلات أرجل الجنود الإسرائيليين وبصراخهم عليهنّ "شو بتسوي هون؟" كما تقول (ن). وهكذا يأمر الجنود النسوة بالرجوع وهذا أول سيناريو يمكن ان تُقابل به النساء عند امساك الجنود بهن وهن قاصدات العبور. لكن الرجوع عن طريق الزحف يكون أصعب من التقدم كما تصف (ن): "لما بتدخلي اريح من لما بترجعي".

ولكن إعادتهن لا تعني الاستسلام بل المحاولة مرة أخرى وتروي (س) قصة طريفة وهي عند الحافلة التي ستقلّها إلى مدينة القدس المحتلة فتقول:

"مرة انزقطنا قبل 3 اسابيع، كان يومها في كتير شباب اكتر من 100 شب وطاحتلهم قوة من فوق اكتر من 6 شباب انزقطو، واحد شرد وانكسرت اجرو، وبعدين لفينا ورجعنا واجونا الجنود عالباص همة همة، وانا شردت وتخبيت بين الشباب، وان الجندي عاددنا، وصار يدوّر علية، وانا سامعيتو وهو بقول وين راخت وين راخت؟ (سين كانت تستهزأ من لهجة الجندي الذي لا يستطيع لفظ حرف الحاء)، وهو يلفّ حولين الباص وانا الفّ من الجهة التانية، وانا شايفتو وهو مش شايفني والشباب يقولولي ايوة! ويشجعو فية، وانا شو بدي اسوي؟ بدي اتخبه منه، شفت سيارة حمرة وتخبيت وراها، بقول للشباب: مشان الله خبوني، قالولي شو بدنا نسويلك؟ تخبي ورة السيارة، والله يا حبيبتي الله عمى بصرو، والله انو اتطلع وما شافني، ونجنّ وهو يدوّر علية، والباص اللي كنا بدنا نطلع في مشى، واجا واحد تاني، صارو يقولولي الشباب استني ما تطلعيش خليكِ متخبية، والله يم الجندي قطع وانا جراي عباص القدس، ما صدقتش حالي يومها إني وصلت".

وقد تكون محاولة الرجوع من مكان آخر، فتقول (أم ع): "وعدة مـــرات بمســـكونا وبرجعونـــا ومنرجع نجرّب كمان مرة، واذا استنينا وماراحوش منجرّب من فتحة تانية، وإذا ما زبط منروح عن طريق عناتا". وهنا يمكن القول بأنه عند امساك الجنود بالنسوة وطلـــب الرجـــوع مـــنهن يرجعن وينتظرن حتى يذهب جيب الجيش وهذا الكلام يعني كقول (س): "مش ممكـــن يمســـكونا ويمرّقونا، بس إذا راحو معناها امرقن بس بدون ما نشوفكن". امـــا (ام عـــل) فروايتهـــا عـــن تصرف الجنود تختلف فتقول عندما مسكها الجندي تعبر الحدود: "والجندي اللي في الجيب طلـــع ابن حلال حكالي شو جابك في هالبهدلة؟ كنو عربي ولا ابصر شو، قلتلو جابتني التعاسة، اجيت اشم الهوا يعني؟ ولما شاف الدم في ايدية، واواعية امزّعة وحالتي حالة حزن عليـــة ومرّقنـــي". وهذا الكلام يقودنا إلى التساؤل عن سبب فعل الجنود هذا؟ فلماذا يسمحون للنساء بـــالمرور فـــي

بعض الاحيان؟ وهنا يمكن القول بأن النسوة حققن بعض التغيير في استراتيجية الاحتلال المتمثلة بالجنود، فالنساء لم يستطعن إزالة الجدار لكنهن استطعن أن يغيّرن تفكير الجنود، والسماح لهــن بالمرور وكأنهنّ حقيقة لا بدّ من التعامل معها. وهذا الكلام يشير إلى أن الإستراتيجية لــم تعــد ثابتة، فإذا كانت الإستراتيجية ثابتة وبقي الجنود في مواقعهم لما تمكّنت النساء من العبور. لكن إستراتيجية الفصل باستخدام الجدار والحواجز والجنود مكونة من أفراد أصبحوا في حالة استنفار واستنزاف دائم من قبل الجماعات الفلسطينية التــي لا تستســلم لإجــراءاتهم، ولهــذا تنكســر الإستراتيجية جزئيا في لحظات معينة، الأمر الذي يشير إلى تحرّكها وعدم ثباتها. وهذا التحليل يخالف تنظير دي سيرتو الذي يدعي ثبات الاستراتيجية بسبب علاقتها الوثيقة في تكريس السلطة (دي سيرتو، 1984).

اما السيناريو الثاني فترويه (ام م ن) على طريقتها:

"هداك اليوم قبل يمكن شهر احنا عالساعة 2:50 الصبح وصلنا المحسوم وقطعنا، احنا قطعنا وطحنا تحت المحسوم ولّاهم شايفينا عالكمرة، لاقونا واخدونا على المحسوم وضلينا قاعدين للساعه 7 الصبح، قلنالهم اتركونا خلص بدنا نروّح، الا طلع واحد عربي، حكنالو خلص يا ابن الحلال بدنا نروّح يعني، وين شايفنا رايحين؟ شو شايفنا حاملين احزمة ورايحين نفجّر؟ احنا رايحين نشتغل، ورانا ولاد وورانا عيال، احنا منبيع ومنشتري في القدس، احنا وين رايحين؟ حكالي ماشي يا حجة استني شوي انا زغير في اكبر مني، والله اجا الاكبر منه، الله لا يكبره! جابلنا قنينة مي وحكالنا خلص يا حجات عيب بصيرش تطلعن هيك، جيبن تصريح وبتمرقن، حكنالو ماشي بس افلتنا، وفلتنا، واحنا لفينا وعودنا رجعنا من نفس المحل، مهو مرات بكونوش عالكمرة ومرات بكونو مش منتبهين، المهم عدّينا، احنا وصلنا الباصات وكان في ازمة كثير، ولا هم بيجو يجرو علينا من المحسوم، احنا قلنا منتخربط بين هالناس، الا بحكيلنا يا حجة انتو بدكو تجننوني؟ الحين حكنالكو روّحو ليش عودتو رجعتو؟ يخربيتهم عرفونا عند الباصات، وانا كان معي شوية

ميرمية هيك شاريها مشترة وحطيت الميرميات في الباص وقلت للشوفير دير بالك عليهن يا ابني، واخدونا الجنود على المعبر وقعّدتنا اليهودية في الشمس ممنوع نقعد في الفاي، في الشمس، وبعد شوي بحكي انا لجندي يا ابن الحلال افلتنا خلينا نروّح، بحكيلي لالالالا، بقلو يما، بحكيلي انت مش امي، انا امي بتطلع وبتقطع المحسوم تهريب؟ قلتلو انا كنت عايشة عيشة احسن من عيشة امك بس الحمدلله، وانا بقبلش انت تكون ابني، بس خلينا نطلع ونرجع، حكالي لا مش مسموح، ممنوع، وراح جاب سيارة الشرطة لكبيرة وطلّعنا فيها بكينا 7 احنا او 6 نسوان وطلّعنا في هالسيارة...".

عندما يطلب الجنود من النسوة الصعود إلى السيارة الإسرائيلية، يرفضن عادة في البداية. "لكــن إذا صرّوا منعاود نطلع، ومرّة بتذكر اخدونا وزتّونا في نصّ طريق الخليل، وبحكولنا إذا شفناكن كمان مرّة عالمسكوبية" تقول (ن). وهنا أيضا نلاحظ قدرة هؤلاء النسوة الخارقة على الاحتمال بمعنى أنهن ومن خلال التجربة الطويلة خلقن وعيا جديدا تجاه الجنود بأنهم ليسوا مخيفين بــذلك القدر الذي يبدو لاولئك الذين لم يحتكوا بهم قط، ولذلك تواصل النساء المحاولة دون كلل او ملل عن طريق إعداد الخطة البديلة امام كل احتمال. وتكمل (ام م ن) رواية قصة الصعود في سيارة الشرطة الكبيرة وتقول:

"وطلّعونا في السيارة، وسألنا جندي من وين انتو؟ حكنالهم من بيت لحم، سألونا وين هوياتكو؟ حكنالو معناش شو شايفنا يعني مسلّحين؟ وضلّ يلفّ فينا، فكّرنا راح نتوه اذا ودّانا من محسوم زعيم، ولما وصلنا محسوم زعيم صارت (ن) تحكي احنا وين احنا وين؟ احنا منعرفش وين حطيتنا، معناش مصاري نركب، حكالها اسكتي يا حجة، وفلتونا وضلو رايحين، اطلّعت في (ن) وحكتلها هاد المطرح اللي بتمرق منو (ام م) الرطاسية، تخافيش، الا حكتلي ما انا عارفة بس عشان يفهمو انو احنا مش عارفين احنا وين، عشان يوخدو فكرة انو احنا مش راح نعرف نمرق وخلص ويروحو، وراحو ورجعت لورة وحكتلهن اسمعن خلينا نروح ثنتين ثنتين عشان محدش ينتبه علينا، وكان في فتحة زغيرة هيك منمرق منها وفي شيك بدك تزركي

منه زي الارنب، المهم طلعت اول وحدة وراي كانت (ن)، ومشينا ثنتين ثنتين، دايما (ن) وراية زي العسكر منمشي، واستنيناهن تمرقن، والجيش كان لتحت بس مش شايفنا، بس احنا شايفينهم وهم ما نتبهو علينا واستنينا بعضنا تطلعن ال6 وقطعنا وبعدين طلعنا عالطور، وطحت عباب العمود ورحت عالكراج وقلت لشوفير هناك: في شوفير اخدلي شوية ميرمية يما، وسأل وحكولو الشوفير الفلاني واتصل علي حكالو هيني في الطريق يا حجة الحين باجي، واجا واخدت الميرمية وصرت اشتري غرض من هان واخذ غرض من هان وهاي هي حياتنا".

لكن احتمالات عدم المرور من الزيتونة واردة في حال: "لما يبقو مشاة خلص فش مجال نمرق لأنه المشاة بضلّو قاعدين بس الجيب في لحظة ممكن يروح"، تقول (أم ع). لذلك فإن النسوة يحفظن خط الرجعة فتضيف (ن): "والسيارة اللي بتوخدنا من هان منضلّ رابطينها، بظل الشوفير يتصل معانا إذا ما مرقناش برجعلنا، وإذا مرقنا خلص". وهكذا اذا لم تتمكن النساء من العبور يرجعن إلى التاكسي ويذهبن إلى معبر عناتا ليحاولن العبور من جديد بوجود أيضا احتمال النجاح او الإخفاق.

اما الاحتمال الثالث فهو التحقيق وأخذ البصمات، فتقول (مر):

"منتفق احنا والنسوان نجاوب نفس الجواب عشان ما نغلط في اجوبتنا، واحنا ما منحكيلهم من وين مرقنا عشان ما يوقفولنا المرات الجاي من المحل اللي منعبر منه، اذا قلنالهم عن الطريق اللي منمرق منها ممكن ايطوقوها وما نعرفش نمرق، بسألونا كيف وصلتو هون؟ مين وصلكو؟ من اي طريق مشيتو؟ وهيك وبعدين بفلتونا".

وهنا أيضا يمكن أن يرجعن إلى التاكسي ويحاولن إعادة الكرة. لكن احتمال الفشل من الوصول يبقى دائما موجودا، فإذا لم يستطعن الوصول اليوم، يعاودن المخاطرة في اليوم الذي يليه،

وتكتيكات التصرّف تستمر فتقول (أم ع): "عدّة مرّات ما نمرقش فمنتصل تلفون عالـدكان اللـي منقعد عنده ومنقوله ماقدرناش ننفد وهي خضرتنا محطوطة في المسرارة، بيودي عربابة اتجيبلنا الخضرة ويخبيها لتاني يوم...وتاني يوم نروح ونمرق ونبيعها".

فتفكير وتصرف النساء هذا دائما يرتكز على هدف معين فتقول مثلا (س): "انا بحملش هويـة، لان الهوية بتخرّب دياري، إذا معي الهوية بدي امضي بـدي ابصـم، بتجيبلـي الأذى، كتيـر زقطوني وشردت عشان فشي معي هوية". هذه أيضا مناورة ذكية فعن طريق إخفاء الشخصـية يمكنها التملّص من الأبعاد القانونية المحتملة من قبل الاحتلال الصهيوني. لكن النسوة التي تبلغ من العمر 50 عاما او أكثر يمكنهن الحصول على تصريح عبور ديني فقط ليوم الجمعـة مـن سلطات الاحتلال الصهيوني، لكن النسوة ينتهزن فرصة حصولهن على ذلك التصريح ويـذهبن إلى مدينة القدس المحتلة للعمل. وفي هذه الحالة يجب أن تأخذ النسـوة الهويـة علـى المعبـر الصهيوني ليبرزنها هناك لكي يتمكنّ من المرور، لكن تكتيكاتهن في مدينة القدس المحتلة تستمر فتروي بائعة الخضار (ام ا) التي تسكن في قرية ارطاس القصة التالية:

> "مرة وانا مبسّطة في القدس اجا تبع البلدية مع جندي وقلي اعطيني هويتك. قلتلـو اني هوية؟ قلي هويتك الإسرائيلية. قلتلو بحملش هوية، انا مجنونة احملها؟ قللـي بدي اجيبلك جنديه تفتشك، قلتلو وما تجيب، قلي وهو يحكي للجندي شـايف مـش خايفة! قلتلو وليش اخاف؟ ولو معي هوية بعطيك ياها شو بدك تقطع راسي؟ قَلـي والحمار اللي عالمحسوم اللي مرقك انو؟ قلتلو هو انا باجي عالمحسوم؟ قلـي ولا؟ قلتله انا باجي زي ما الناس بتيجي، قلي انا رايح اجيب شرطية وارجعلك، وراحو، وانا رحت خبيت الهوية ما انا كنت جاية عن المحسوم عشان يوميتهـا كـان يـوم جمعة، جبتها عشان لازم افرجيها عالمحسوم، ورجع قلي اه انشالله جهزتي حالـك؟ قلتلو جبت الشرطية معك تفتشني؟ قال لا، قلتلو ليش؟ انا بستنى فيها، وانـا طلـت

الجزدان وفرجيتو اياه، وقلتلو شايف فش هوية ولا اشي، يعني لو معي هوية بـــدك تقلي روحي روّحي، وراح وتركني".

تكتيكات تصرّف النساء في مدينة القدس المحتلة:

عند التمكّن من وصول مدينة القدس المحتلة لا تنتهي المخاطرة، لأن أخطار الإمســـاك بالنســـوة بدون تصريح يأذن لهن البقاء في المدينة يبقى واردا، فكلّ واحدة تتصرف وفق ظروفها. لكـــن جميع النسوة يستخدمن وسيلتي الحافلة والمشي سيرا على الأقدام فقـــط للتنقـــل، لأن التكســـيات تمنعهن من الصعود إلى السيارة بدون التصريح. وتروي (ن) قصتها: "إذا كانت الخضرة كتيرة بنام عند واحدة بعطيها 15 شيكل في الليلة، احيان بنام يومين او ثلاثة". اما (س) التـــي تـــذهب إلى القدس الشرقية، إلى بيت اليهودية التي تعمل عندها فتقول: "صرت امشي في الشارع واقمط هالمنديل لورة واخلّي حالي سكناجية، قلت هيك بشكّوش في أمري. وفي مرّات بســـألوني فـــي العبراني وأنا بعرفش عبراني صرت اقلهم I don’t know وخلص". اما (ام ر) فتقـــول:" انـــا بلبس منديل بس طاقية القدس محطوطة في الجزدان، بس اصل القدس بلبسها عشان ابيّن يهودية وأخفى بينهم".

وهنا يمكن ملاحظة أن هذه السلوكيات تعكس مدى المهارة والجرأة التي تتحلى بها تلك النســـوة، إنها عملية إبداعية بكل معنى الكلمة، تقليل أي فرصـــة للاحتكـــاك بالشـــرطة عبـــر اســـتخدام المواصلات العامة (الباص)، النوم عند الضرورة للحدّ من الحركة والمخاطرة، وأهمها محاولـــة التماهي مع البيئة الاجتماعية اليهودية عن طريق التنكر والتمويه لتستطيع النساء العبور وتخطي استراتيجيات المنع الصهيونية (دي سيرتو، 1984)، إن حركة (س) بمحاولـــة التشـــبّه بالنســـاء اليهوديات المتدينات محاولة استطاعت من خلالها الحفاظ على منديلها كمسلمة وفي ذات الوقـــت

دعم هذه الحركة باللغة الانجليزية، فتجعلها أكثر ارتياحا وهي تجول شوارع المدينـــة المقدســة. وأنا هنا أكاد أتخيل مدى الجرأة والشجاعة ورباطة الجأش التي يتطلبها إنجاح هذا المشهد. امــا (ام ر) فتجهز عدة التمويه وتظهرها في الوقت المناسب لتبعد عنها الشــبهات لتفــادي المشــاكل ومتابعة اليوم بسهولة أكبر.

وتكتيكات بائعات الخضار لا تنتهي هنا، لأن أخطار تهديد بلدية القدس واردة في اية لحظة فتقول (ام ح) البتيرية: "احنا ممنوع نقعد نبيع في الشارع، ممنوع، ما احنا ضفة ومش جايبين ترخيص من وين بدنا نجيب ترخيص ما احنا اصلا مخالفين احنا ضفة بس تبعون القدس بعطوهم يعنـــي ترخيص"، وتروي (أم م ن) هذه الحادثة:

> "يعني هداك اليوم انا حاطة خضرة في منطقة انا ممنوع أحطّ فيها في باب العمود، ما شفت الا البلدية والشرطة بحملو في اغراضي، وما حدش حكالي انو اجت بلدية ولا شرطة، ونعف الزلمة تبع البلدية الفاصوليا وصار يخبّط عليها، واخذ كيس الملوخية وضلو رايح، كيس الملوخية اشتريته ب 70 شيكيل، الحقته ولفّيتله من هان ومن هان بس ما قدرتش ضل ماشي، ولما انا الحقته النسوان ملقطاتلي اغراضي، و(ن) يا حرام ماخد ميزانها، فلحقتهم معي، وسكّرو على حالهم المكتب، حكتلها خلينا نرجع عند خضرتنا ومنعاود نرجعلهم، يعني كان وقت بيع الساعة 10:30 الصبح، الا هي عال2 (ن) جاية، قالتلي يالله يا (ام م ن)، قلتلها يالله، ودشرت اغراضي وطلعنا على مكتب البلدية، الا في واحد بقولوله شلومو كبيرهم، حكتله (ن) اخدو ميزاني البلدية اليوم، وقلتله وانا اخدو مني كيس ملوخية، قامت هي اطلعت الا شافت ميزانها على كياس ماخدينهم من اللي ببيعو، وحكتله هاد الي، وحكالها لا، ومدت ايدها واخذته وحكتله هاد الي اخدو مني اليوم، وانا حكيتله انا هادي ملوخياتي، اعطيني ياهن والشب تبع البلدبة حكالي ما بعرف هاد الك ولا مش الك بقدرش اعطيكي ياه، و(ن) قرقطت في الميزان الا بقلها خلص روحي واخدته، حقو 40 شيكل، وانا حكالي ارجعي عال3ونص انا بقدرش اعطيكي اشي بجوز مش الك، حكيتلو انا بكذبش اذا مش الي بقلك مش الي ورحت، عالساعه

3:30 الا واحد من السوق بقلي هاد كذاب بجوز ما يعطكيش ياهن، حكتلو لا ان شاالله انا متوكل على الله، وعالساعه 4 طلعت اجيب كيس نعنع وبقدونس طازة واطلعت لقيت مكتب البلدية فاتح، وفي عندو حوالي 6/5 زلام من حوالين اللي ببسطو باب العمود، هدول الزلام بكونو يلهو تبع البلدية، مثلا اذا اخو الواحد بكون مبسط، هو بقعد عند تبع البلدية بلهي في عشان يبيع اخوه، واللي ابنه واللي اخو وهيك، واذا تبع البلدية بدو ينزل عالبياعين، لزلام اللي عنده برنه تلفون عقرايبهم عشان ايضبو اغراضهم، المهم لما دخلت كانو الزلام قاعدين مع تبع البلدية وبطرقولو في دواوين، الحين انا قلت لواحد انا بعرفه اسمه ابو حسين اعطيني طريق بدي احكي مع تبع البلدية، الا بقلي اه احكي معو احسن انتي يا (ام م ن)، حكيتله بس افتحولي طريق، المهم بقلو مرحبا اليوم اخدولي كيس انا شاريته مشترة، وانا وراي اطفال، يعني اذا كل يوم بدكو توخدولي غرض يعني بصير اشتغل عالفاضي، لاني بدفع حقه، واخدو مني وما الوش حق يوخدو مني لاني قاعدة في منطقة مسموحة، الا هو بقلي اعطوكي اياه الصبح، قلتلو لا ما اعطونيش اياه، حكيتلو هي كيسي اللي ورة الكرتونة، حكالي طيب بعطيكي ياه بس بديش اشوفك، حكيتلو لا بدك تشوفني، سألني ليش؟ حكيتلو لاني بدي اوكل خبز انا وراي عيلة وبنات وجوزي عيان، وراح تشوفني كتير، حكالي طيب ما تقعديش عالدرج، الا في واحد قاعد بحكيلي برافو عليكي يا (ام م ن) مش تقليلو لا ومش رح تشوفني وخلص قوليلو اه بدي اجي واقعد واعيش".

فايمان (ام م ن) بحقها في الوجود في مدينة القدس المحتلة هو الذي يعطيها ذلـك القـدر مـن الجرأة والشجاعة لمواجهة الاسرائيليين. ولتفادي الشرطة والبلدية في المدينة المقدسة تقول (ام م ن):

"ممنوع نقعد عالدرج، بكون في كمرات ومنكون قبالهم وشايفينا عالتلفزيون وعشان هيك منبعد عن الكمرة، ومنطلع عالدرج العصر لما يصير فاضي لما يقرب دوامهم يخلص، مرات لل5 بضلو، ومنضل نحكي هيهم راحو هيهم اجو، ومنضل على اعصابنا طول اليوم، وكيمي وحطي وبعدين بتستجريش تحطي كل اغراضك بتسترجيش، فشو منسوي؟ منخبي غراضنا، والله في شباب محترمين بشعرو فينا

ومنخبي عندهم، وفي مرات بكون معي اغراض وبخبيهن عند صاحباتي، الي صاحبات محترمات مع انو دارهن دياق ومدخلهن ديّق بس بحط غراضي عندهن، ولما ابيع البضاعة اللي قدامي بروح اجيب من عندهن، هديك المرة اجت سيارة البلدية وكل اغراضي معاية، حملتهن وشردت وفي صاحب محل الا بقلي (ام م ن) فوتي فوتي، وساعدني في تدخيل الاغراض ورديت الباب ووقفت عادي، خلص فش اشي، معيش اشي، واجت سيارة البلدية واختلفو وين راحن النسوان، ولفو وراحو بجوز بعد ساعة رحت جبت اغراضي، ولا وحدة بتقول للزلمة اللي ضبلي اغراضي، ليش انا بتخلونيش احط اغراضي عندكو؟ قالها (ام م ن) بطلعلها الها عمر هاي صاحبة بيت ومحترمة".

(ام م ن) فرضت احترامها على الناس في المدينة المقدسة عن طريق تعاملها الجيد والمحترم مع الناس فتقول:

"الي سنين بالوجه وبالمعاملة المنيحة بتصير العلاقات منيحة، يعني بيجي واحد يشتري غرض مثلا، ومثلا بطلع الوزن بزياده شوية، فما بنقّص من الخضرة بالعكس بقول صحتين، او بنقّص مثلا شيكل، والمعاملة المنيحة والكلمة الحلوة بتلعب دور، يعني لما يحكيلي واحد صباح الخير يا (ام م ن) بحكيله يسعد صباحك اهلين يما وهيك، وهديك المرة كنا شاردين من البلدية ومزّعولي اغراضي وكلشي نزل عالارض، وصرّخت فيهم وحكولي ما تقعديش في بضاعتك هان، ونزلت قعدت تحت باب محل لسة مش فاتح ولما اجا صاحب المحل وهو الزلمة اللي بضبلي الاغراض، الا هو بكون معي فقوس وخوخ، بقلو تفضل كل، بعطي فقوس بعطي حبة خوخ هيك بالمعاملة هو بشوفها قد الدنيا."

تكتيكات الرجوع من مدينة القدس المحتلة:

عادة تكون طريق العودة أسهل لكنها أيضا محسوبة، تقول (س): "في الترويحة فشّ مشكلة بروّح عن طريق النفق، أنا بسأل الشوفير أمانتك في محاسيم في الطرق؟ يا بقول اه يا لا. اذا اه بلــفّ

عن ابو ديس واذا بستنى وبروحو بعاود أمرق". لكن الإمساك بالنسوة أيضا يكون على البال حتى مع أخذ الإحتياطات فتقول (أم ع): "لما تركبي في الباص ممكن يكون في محسوم طيّاري، وبطلعو الجنود على الباص وبيطيّحو اللي ماعشّ تصريح من الباص، أحيان بيبصموا وبكتبوا ورقة انه مسكنا في القدس بدون تصريح ومنوقّع".

العبور الخفي ومقاومة الاحتلال الصهيوني

لقد تبيّن لنا كيفية تعامل النساء الفلسطينيات العاملات مع استراتيجيات المنع والسيطرة الصهيونية، فهل يمكن اعتبار عمل النساء الاقتصادي في مدينة القدس المحتلة نوعا من أنواع المقاومة السياسية؟ بالإستناد إلى النظريات التي استخدمت في البحث حول مفهوم المقاومة بالإضافة إلى روايات النساء الفلسطينيات، يمكن أن نعتبر أن العمل الاقتصادي عن طريق العبور الخفي مقاومة ضد سياسية الاحتلال الصهيوني. فعند دراسة العينة المدروسة من النساء أمكن تصنيفهن إلى ثلاثة أنماط من حيث مفهومهن عن المقاومة السياسية.

فالنوع الأول يشمل النساء اللواتي يعبرن في الخفاء ولا يشعرن أبدا بأنهن يقاومن الاحتلال الصهيوني، فهدف عبورهن هو الحصول على الرزق المادي للتمكّن من إعالة أسرهن. فتقول (مر):

> "انا بطلع من داري مجبرة، بطلع عشان احصّل لقمة العيش، ولما بقطع بحسّ إني بفرح لاني اتخطيت مرحلة كنت خايفة منها عشان اوصل لشغلي، واجيب فلوس لبيتي حتى أقوم بحملي، انا همي الوحيد إني أروح اشتغل وارجع على بيتي، لا بحسّ إني بقاوم احتلال ولا اشي".

فشعور (مر) بالفرح يتطابق مع تنظير دي سيرتو، فالفعل الفردي الذي قامت به تلك المرأة مــن خلال المساحة الصغيرة المتبقية عندها، خلق عندها شعورا بالإنجاز، لأنه يعتبر إبــداعا ضــمن نظام هيمنة الاحتلال الصهيوني الذي يمنع مثل ذلك الشعور (دي سيرتو، 1984). وتؤكد (ف) التي تعمل في التنظيف وتقيم في مخيم الدهيشة بأنها تصل مدينة القدس المحتلــة طلبــا للعمــل ولجني النقود، فهي لا تفكر أبدا بالمقاومة فتقول:

"بدنا نزيد يوم شغل ومصريات يدخلن في الجيبة ولا احنا شو هدفنا؟ اه هدفي إني اشتغل، انا مش هدفي القدس، هدفي إني اجيب مبلغ معين، واقول هي انا جبت 180 والا 200 شيكل عشان أقدر اشتري اللي بدي اياه لداري".

أما النوع الثاني من النساء فيستحضرن مفهوم المقاومة بشــكل واعٍ، فيعتبــرن بــأنهن يقــاومن الاحتلال الصهيوني عندما يعبرن الحدود فتقول (ام ر):

"انا بحسّ اني لما أمرق انو انتصار عليهم لأني بشعر بوجودي كفلسطينية، فلما بعبر وبمرق غصبن عنهم بكيّف، بحس اني بتحداهم، وما برتاح غير لمّا امرق، وانا راح اضلّ احاول امرق طول ما انا بقدر امشي". ومقاومة (ام ر) لا تنتهي إلى هذا الحد من فهمها للمقاومة فتضيف: "بكره أسلوبهم، بتذايك من تعاملهم واسلوبهم مع الناس يعني كمان في نفس الوقت انت بتتعامل مع بني آدمه، يعني انا لا رايحة افجّر اسرائيلي ولا رايحة اسوّي اي حاجة؟ انا رايحة اشتغل عشان أطعم ولادي، تعامل معي زي البشر على الاقل، قال بقللي انتِ مش قانونية قلتله ايش مش قانونية؟ هي القدس الك عشان تقول قانوني؟ ليش يعني انا مش قانونية وانت قانوني؟ اه فمنظرهم يعني بستفزني من زمان مش من اليوم، تعاملهم سيئ مع الناس يعني هم كمان سيئين وبتعاملو بسوء، ولما بستفزوني بصير اجاكر فيهم مع إني بعرف انه اذا جاكرتهم بصيرو يجاكرو اكتر وفرصتي إني امرق بتصير اصعب، بس بشعر إني المهم اجاكرهم حتى لو ما مرقت".

فمعنى أفعال (ام ر) تأخذ منحى الدفاع عن النفس والكرامة الانسانية، فهي تؤكد على أهمية هويتها وذاتها وترفض الإهانة وتضعها في منزلة أهم من العبور نفسه. وفعل (ام ر) أيضا يعبّر عن انتقامها لمعاملة الجنود السيئة لها بالكلام، فهي لا تملك وسائل أخرى للانتقام، ولهذا فهي تقاوم وتتحدى وترفض معاملة الجنود البذيئة لها بالرغم من علمها بأن فرصتها من العبور والوصول إلى مصدر رزقها ستكون مستحيلة. وتضيف (م) وتقول:

"لما بمسكونا كتير بدايك، بس بعدين خلص، بدي اسوّي الاجراءات كلهن، اول مرة قبضوني في سور هداسا، بصّموني، صوروني، بيجوز ضلينا نص النهار معهم، وبعبو ورق معنا، وبحكولي وقّعي، ومرة حكالي الجندي وقّعي، وانا عرفت وين لازم امضي، صار يحكيلي متعودة مع مسخرة، قلتله ما انا صرت اعرف". لكن الإمساك بها وشعورها بالألم عندما يتم القبض عليها لا يعني أبدا الاستسلام وإنما يعني التحدي، وتحديها يعبّر عن وعي وإدراك تام بأنها تقاوم: "وبعد ما يقبضونا، ولما يتركونا بنزلونا عند المحسوم (الحاجز العسكري)، منمشي شوية وتيبطلو شايفينا، منأشر ومنركب سياراتهم ومنروح، شو اكتر من هيك تحدي؟ يعني منمرق غصبن عنهم".

اما النوع الثالث من النساء لا يعتبرن أنفسهن مناضلات سياسيات، لكنهنّ يضعن نشاطاتهن في إطار يحمل معنىً سياسيا. فعندما تعبر النساء وينجحن في تخطي العوائق التي يواجهنها يولّد عند النساء معانٍ جديدة فتصف (أم ع) ذلك بقولها:

"الصبح احنا لما منمشي مننزل نزلة عناتا ومنقطع على العيسوية، بتكون الطريق صعبة جدا، فلما نقطع منوخد ملبّس او اشي حلو، فأنا بوخد الي ولكل اللي في السيارة، ولما نصل هناك ونطلع في باص العيسوية بنوزع حلوان انو وصلنا بالسلامة، وعيارني مرقت بكيّف بيصير عندي شعور بالنصر وبقول الحمد لله هيني نفدت".

فالنصر يأتي بعد خوض المعركة وبالتالي فإن (أم ع) بعبورها تعتقد بأنها واجهت الاحتلال وخاضت معركة معه ثم انتصرت عليه واحتفلت مع باقي النساء بتوزيع حلوى النصر، هذا هو المعنى الحقيقي المدفون في وعي (أم ع) وتترجمه تلك المرأة بطريقتها الخاصة. وتضيف (ن):

"محلي جنب باب الزيت، بعيد عن الشمس والمطر وجيراني مناح أنا بتريّح هناك، وإحنا عايشين عيشة صعبة بس منستسلمش، اذا ما رحناش عالقدس فش حدا بدخلها بتصير للأجانب". اما (س) فتقول:" ديمة وفي خزك مفتوح بضل أغامر وأروح عالقدس، مش ممكن ابطّل أروح، عشان لازم أروح ليش ما أروح؟ القدس مقدساتنا ليش ما نروحش عليها؟".

إن (ن) و(س) تدركان في داخلهما أهمية مدينة القدس المحتلة كمكان للعبادة وكمكان مقدس، فهاتان المرأتان تهتمان بموضوع التواجد في المدينة، تلك المدينة التي تمرّ في عملية تهويد وتطهير عرقي من سكانها الاصليين من قبل الاحتلال (بابيه، 2007). وبالتالي فإن وجود النساء في تلك المدينة يعني مقاومة عملية التهويد تلك.

واذا استذكرنا تعريف المقاومة الذي وجدناه في فصل مراجعة الأدبيات على أنها الأفعال التي تعارض نظام السيطرة وتؤدي إلى تغيرات ملحوظة بغض النظر إن كانت الأفعال تقصد المقاومة فعليا ام لا، يمكننا القول بأن النساء الفلسطينيات يعبرن إلى مدينة القدس المحتلة في الخفاء، حيث لا يضعن نصب اعينهن مبدأ المقاومة عندما يذهبن اليها، لأن هدفهن المباشر هو ليس التغلّب على إستراتيجية الاحتلال الصهيوني القهرية، فالنسوة لا يردن هدم الجدار ولا يقاومن لإنهاء الاحتلال، وإنما يحاولن التخفيف من تأثيراته واستغلال الفرص المتاحة للتمكن من تخطي العوائق (دي سيرتو، 1984). فالسبب المباشر من عبور النساء هو الحصول على الدخل المادي الذي يكفل تحسين حياتهن، لكن وفي نفس الوقت يمكن اعتبار عبور النساء

الفلسطينيات تعبيرا عن معارضتهن لسياسات الاحتلال الذي يحاول منعهن من المرور إلى مدينة القدس المحتلة والتواجد فيها، فبسبب خصوصية السياق الفلسطيني فإن معظم النساء اما يلحقن معنى المقاومة عند ممارستهن نشاطاتهن المختلفة، او يتستحضرن مفهوم المقاومة عند ممارستهن عبورهن الخفي. فبما ان الاحتلال الصهيوني بنى الجدار والحواجز من أجل منع الفلسطينيين من العبور، إلا أن النساء بوصولهن إلى عملهن الكائن في مدينة القدس المحتلة يَعبرن الحدود المزيفة التي خلقها الاحتلال رغما عن الاحتلال نفسه. فما تقوم به اولئك النسوة من سعى لبيع الخضار او العمل في التنظيف لا يدلّ على ممارسة نشاطات فيها مقاومة سياسية، لكن المعنى الكامن والحاضن لكل هذه العملية هو عدم الاستسلام والحق والصمود والإصرار على المواصلة كما عبّرت النساء، فكل هذه العبارات تعني المقاومة، مقاومة بدت وكأنها تختلف عن المقاومة السياسية والنشاطات الانتفاضية، لكنها مقاومة دفاعية تقوم على ابتداع تكتيكات التجاوز والالتفاف والاحتواء للدفاع عن حقوقهن الطبيعية التي سُلبت منهن، لأن النساء بأفعالهن لا يقصدن المقاومة في الأساس لكنهن يقمن بالحدّ من التأثيرات المترتبة على استراتيجيات الاحتلال الصهيوني التي تمنع حرية حركتهن، فالنساء يعتبرن نجاح دخولهن إلى مدينة القدس المحتلة وكأنه عمل دفاعي يهدفن من خلاله إلى مواصلة شؤون حياتهن اليومية رغم أنف الاحتلال. وهنا من الممكن أن نختلف مع طرح بيات الذي يدعي بأن التجاوزات الهادئة لا تكون دفاعية (بيات، 2009). هذا بالإضافة إلى اختلافنا مع سكوت، لأن سكوت بتعريفه للمقاومة لا يعتبر عبور النساء شكلا من أشكال المقاومة الخفية لأنه يعتقد بأن النشاط المقاوم يجب أن يكون مقصودا من قِبَل الفاعل (سكوت، 1995).

ولذلك يمكن اعتبار عبور النساء الخفي وما يتضمنه من أفعال مختلفة لإنجاح هذا العبور شكلا من أشكال المقاومة السياسية اليومية والتي يعبّر عنها بيات بمفهوم التجاوزات الهادئة (بيات، 2009) باعتبارها واحدة من تكتيكات البقاء المادية التي يقوم بها الفلسطينيون والفلسطينيات للتصدي لاستراتيجيات الاحتلال الصهيوني الخانقة حتى ولو كان هذا التصدي أسلوبا غير مباشر.

ومن الممكن أن تتراكم أفعال المقاومة التي تقوم بها النساء بشكل غير مباشر وخفي وثانوي، وهذا التراكم يمكن أن يؤدي إلى تغيّرات جدية في حياتهن وصمودهن وتحديهن للتوصل إلى العيش الكريم، حتى في ظل استراتيجيات الاستعمار التي تحاول منع ذلك العيش (بيات، 2009)، فتقول (ام ر):

> "انا طالعة من داري عشان أعلّم ولادي وعشان أربّي ولادي، انا لما طلعت كانو ولادي اول ابتدائي وثاني ابتدائي، اولادي الحين بدهم يخلصو ماجستير، انا ما طلعت عشان اشمّ الهوا، انا طلعت وكان في نتيجة، البنت علمتها وهيها جامعية والولد وكلهم في الجامعة، ولادي تخرجو ومن ورا شغلي بنيت داري لاني قبل ما اشتغل مكانش عندي دار".

وبالإضافة إلى النتائج التي انعكست على بقاء عائلات النساء فإن بقاء الحياة في مدينة القدس المحتلة تعتبر نتيجة ملحوظة أيضا. فالاحتلال الصهيوني منع دخول الفلسطينيين إلى المدينة المقدسة بهدف إخلائها، فبوصول النساء اليها تبقى صفة الحياة الفلسطينية مرتبطة ارتباطا كليا مع واقعها والتي تناهض عملية التهويد، وهذا لمسناه من كلام (س) و(ن) في السابق.

فالنساء الفلسطينيات يقاومن الاحتلال الصهيوني لأجل تخطي عقباته ونيل ما يردن. فعلى ذلك النحو، لا يدل عبورهن فقط على مقاومة سياسية مادية وإنما أيضا مقاومة على المستوى

الفكري، من خلال التحدي ورؤية المستقبل. فتلك النسوة يزرعن الأمل في ذواتهن ليتمكنّ من العبور، فبأفعالهن يرفضن الاستسلام والرضوخ والانصياع لاستراتيجيات الاحتلال الصهيوني القهرية التي تمنعهن من المرور وتحتم عليهن البقاء في المنازل (ريختر ديفرو، 2009). ومقاومتهن الفكرية هذه تتحول إلى مقاومة مادية بوصولهن إلى مدينة القدس المحتلة وتخطي العقبات التي تمنعهن من التواجد فيها.

وبالرغم من مقاومة النساء الفكرية والمادية لاستراتيجيات الاحتلال الصهيوني، إلا أن العبور إلى مدينة القدس المحتلة لن يغير من الاحتلال الصهيوني ولن ينهيه وهذا الذي أوجدته حمامي أيضا في دراستها (حمامي، 2005)، لأن هدف النساء المباشر هو ليس التغلّب على إستراتيجية السيطرة وإنهائها، وإنما يحاولن التخفيف من تأثيراتها واستغلال الفرص المتاحة للتمكن من تخطيها، وهذا في نهاية المطاف وبصورة غير مباشرة يشكّل إرباكا للإستراتيجية وهذا الكلام يترجم نظرية دي سيرتو على أرض الواقع، لأن النساء يتعاملن من النظام كما هو، فالنساء يعبرن الحدود ضمن النظام القائم ولا يغيرنه، فالاحتلال الصهيوني يبقى حتى ولو تم العبور إلى الطرف الآخر، لكنهن ينتهزن وجود ثغرات فيه ويستخدمنها لصالحهن بهدف تدبير الأمور، فهن يعلمن بأن مكاسبهن مؤقتة وصغيرة (دي سيرتو، 1984). فقد تستطيع النساء اليوم العبور إلى مدينة القدس المحتلة لكن لا أحد يستطيع أن يؤكد العبور في المرة القادمة. فتكتيكات النساء لن تحقق إنجازات اجتماعية او سياسية كبيرة لكن انجازاتهن تبقى فردية. وهذا الكلام يتعارض مع سكوت لأنه يقول بأن تراكم المكاسب التي تحققها مقاومة الضعفاء تؤدي إلى نتائج اجتماعية وسياسية كبيرة (سكوت، 1995)، لكن في حالتنا هذه لا يمكن أن ينتهي الاحتلال بمجرد اختراق

بعض الأفراد الحواجز، فالمكاسب التي تحققها النساء فردية فقط، فبعبورهن يستطعن الوصـــول إلى اماكن عملهن لجني المال اللازم لبقائهن وبقاء عائلاتهن.

والنساء أيضا لا يعرفن كيف سيتدبرن أمورهن اذا تم التشديد على الحدود، فالنساء يعشن يوما بيوم ولا يخططن للمستقبل. لكن الفرق بين امرأة وأخرى يكمن في الارادة على المواصلة في النضال، فمثلا (ام ع) تقول:

"انا ما بقدر اقعد بلا شغل وانا مش راح ابطّل اروح على القدس، إلا لمّا الاحتلال يبنو الجدار، بس حتى مع الجدار انا مش حاطّة في بالي إني اوقّف او ابطّل اروح، إلا ما الاقي طريقة ثانية أروح فيها، إلا ما تدبر بتصريح او بشغلة، ما بقدر اتخيّل انو ابطّل اروح، لانو بحس انو حياتي هاي، وانا اتعودت، والتفكير انو ابطّل اروح على القدس كأنو بفكر في نهاية حياة او موت، تنو ما يعرفش العصفور يمرق منبطل نمرق، وانا جدا بكون مبسوطة لمّا أروح حتى لما نتعب ونتعذب في التهريب، وبس أصل باب القدس بقول الحمد الله هيني وصلت".

وتضيف (ام م ن):

"والله ربنا قادر على كل اشي يعني احنا منروح والشيك مسكّر تمام بس الله سبحانه وتعالى لما نرجع تاني مرة منلاقي الشباب فاتحينه، وجودنا في القدس هو التحدي، والنا الشرف نكون موجودين ونتحدى وندخل غصبن عنهم، بدي احكيلك نقطه مرة جنود اتنين اصرّو يشددو علينا ومسكونا 3 مرات، وثالث مرة مسكونا من الباص، بس الله سهللنا ورجعنا مرقنا، وكانت الدنيا مطر مطر، وانا كنت باب محل ومرقو عنا جنود في القدس، الا بحكيلي شو يا حجة هاد هو انتِ؟ يعني انا 3 مرات مسكتك ونزلتك من الباص وانت هان؟ بس حرام الدنيا شتا وانت هان، لازم تكوني نايمة في بيتك، حكيتلو شو بدي اسوي بدنا نعيش يعني حزن علي مع انو زقطني".

فإصرار (ام ع) و(ام م ن) على دخول مدينة القدس المحتلة واضح تماما، فإيمانهن بالعمل الذي يفعلنه هو الذي يعطيهن القوة والجرأة والاصرار على المواصلة والمواجهة والتحدي.

اما مجموعة أخرى من النساء فيعتقدن بأن نضالاتهن ستستمر في العبور إلى أن يتم التشديد كليا، فتقول (ام م): "اذا بطّلنا نقدر نروح بدّي أقعد في البيت، شو بدّي أسوي؟، و(مر) أيضا بسبب أوضاعها الصحية توقفت عن العمل والعبور الخفي، فقالت: "إلى 6 شهور قاعدة، بعد ما جوّزت إبني رميت المسؤولية علي عشاني تعبت". فعلاقة ذلك الشعور يمكن أن يرتبط بصورة او بأخرى بوعي النساء بالمقاومة، فإن (ام م) و(مر) لا تدركان ولا تشعران بأنهما يقاومن الاحتلال الصهيوني بعبورهن إلى مدينة القدس المحتلة، ولهذا فإن شعورهن بالتحدي يمكن أن يختفي. فتلك النساء يفكّرن في العمل الاقتصادي ليس إلا ولا يكترثن بالمقاومة أبدا، فإذا استطعن الاستمرار في العمل كان به وإذا لم يستطعن سيعتكفن في بيوتهن.

المحور الثاني: كيفية تعامل النساء مع القوى المجتمعية الداخلية

تحكم البنية الاجتماعية الفلسطينية عادات وتقاليد معينة تخصّ علاقات النوع الاجتماعي، وفي غالب الأحيان تكرّس هذه العلاقات من مركزية الرجل في المجتمع على حساب مصالح النساء، والنتيجة الواضحة من هذه المعادلة هي بروز سيطرة الرجال على معظم نساء المجتمع في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية (الرشيدي، 2005؛ جاد، 1990؛ روبنبيرغ، 2001؛ ريختر ديفرو، 2009)، لكنه في نفس الوقت يوجد نساء فلسطينيات يُعتبرن متحررات ويعشن على طريقة النمط الغربي، وفي الغالب تشكّل تلك الفئة الطبقة البرجوازية المثقفة في المجتمع الفلسطيني. ومشاركة النساء في سوق العمل الفلسطيني تُعتبر متدنية،

والسبب في ذلك هو تدنّي فرص العمل في ظلّ البنى الاقتصادية المشـوهة نتيجـة الاسـتعمار (كتّاب، 2008) ونتيجة للعوامل الاجتماعية والثقافية التي تحدّد مسؤولية الإعالة للرجل (شلهوب كيفوركيان، 2010؛ روبنبيرغ، 2001).

لهذا وبعد إدراك النسوة بأن المعيل الرجل لم يعد قادرا على تلبية احتياجات الأسرة المادية قررن المباشرة باتخاذ خطوة عملية، فتصف (ن) والتي تعتبر المعيلة الوحيدة للأسرة ذلك قائلة:

"جوزي كان مهندس وكنّا مبسوطين وكويّسين، والحمد لله كنّا لا بحاجة روحة على القدس ولا أشتغل ولا إشي، بس الدنيا دوّارة، جوزي بطّل يقدر يتحرّك وبعدين بطّل يشتغل. شو بدي أسوّي وراية ثمانية كيف منا نعيش؟ انجبرت ازرع حبة خضرة وأروح أبيع عالقدس".

اما (س) و(أم ع) فتساعدان في إعالة الأسرة، فتقول (س):

"لما بلّشت الانتفاضة خفّ شغل جوزي، وبعدين فكّرت وقلت يا ربي بدي اضلّ استنى إذا اليوم اشتغل واليوم ما اشتغلش. اطلّعت عالناس، وشفتهن ببيعن وقلت ليش ما اسوّي زيهن؟ صرت اعمّر وازرع بقدونس ونعنع وباذنجان بتّيري وكوسا، واوخذ وأروح عالقدس".

وتضيف (أم ع): "بعد ما صاروا الاولاد كبار والمصاريف اكتر صار معاش جوزي ما بيكفيش، فصرنا نساعد ويوم يصير في بيع أروح اوخذ وأبيع." ونلاحظ من هـذه الإفـادات أن جميـع النسوة يعتقدن بأن مسؤولية العمل خارج المنزل تقع بالأساس على عاتق الرجل، لكن الظـروف لها أحكامها، فتحت ضغط الحصار والصعوبات وتنامي احتياجات الأسرة تشعر النساء بأن فكرة الرجل المعيل قد تزعزعت، فتجد النساء أنفسهنّ امام خيار وحيد وهو تخطي التقاليد والضـغوط الاجتماعية، ولهذا يبدأن بالتصرّف ليتدبّرن أمرهنّ وأمر أسرهنّ بهدف تلبية الحاجات الأساسية.

وبالتالي تبيّن تجربة النساء الفلسطينيات ذلك القدر العالي من المسؤولية الاجتماعية التي تتحملها المرأة الفلسطينية في سبيل تلبية احتياجات أسرتها، وهي تعكس تلك القوة الكامنة في هذا القطاع الاجتماعي الذي يعتقد الكثيرون أنه ضعيف وهامشي ولا يقوى على المقاومة.

وبالتالي فإن الترتيبات والنشاطات التي تقوم بها النساء أعـــادت مـــن صـــياغة وفهـــم التقاليـــد الاجتماعية المتعارفة للعلاقات الجندرية، وذلك من خلال تعزيز الفاعلية الاقتصادية للمرأة، الأمر الذي أدّى إلى مزيد من الحرية في الحركة والمبادرة.

ويلاحظ بروز اختلافات بين نظرة المجتمع إلى النساء العاملات في التنظيف وبين اللواتي يـــبعن الخضار، والنساء اللواتي يعملن في التنظيف يعلمن كيف ينظر المجتمع اليهن فتصرّح (ع) التي تقيم في مخيم الدهيشة وتقول:

> "الناس بفكرو انه اللي بتشتغل عند اليهود عيب، وين ما كان بحكو انو اللي بتطلع برة بتسوي اللي بدها اياه، تفكيرهم رجعي، اهلي بيركنو عليّ وبعرفو انو انا دغرية، فش عندي لا هيك ولا هيك، امي وابوي كانو يضمنو علي اشتغل حتى في آخر اسرائيل، في تل ابيب كنا نشتغل، الدغري بيضلو دغري ان اشتغل عند اليهود او عند العرب". وتضيف (ام ع):

> "احنا عنا شغل التنظيف بشكل عام مش مقبول، بحتقرو اللي بروحن يشتغلن عند اسرائيل. اللي بتشتغل جوة دار بتسكر الباب على حالها، وصاحب هالدار ممكن ييجي، وممكن يكون منيح وممكن يكون ردي، ممكن يكون سكران وممكن يكون شرّاني، حشاش، ميت ممكن، يعني لو بتشتغل في مؤسسات بتكون الفكرة مقبولة".

اما (ابو ع) فيقول:

> "نظرة الناس بتختلف بين اللي بشتغلن في البيوت، وبين اللي بتوخد خضرتها من ارضها وبتروح تبيع. فاحنا منعتبرها نوع من انواع الوطنية لانه صراعنا

صراع ارض، لو كل فلسطيني بستخدم ارضه ببطل في حجة للاسرائيلية يصادرو الارض ويدّعو انه احنا مش مستخدمينها. انا بحكي دايما للناس يعمرو اراضيهم. بس اللي بتسكر البيت اللي بيروحن عليه، الناس ما بتعرف شوب بيصير جواه...

وبسبب معرفة النساء اللواتي يعملن في التنظيف تلك النظرة فإنهن يقصدن تبرير خروجهن إلى سوق العمل. فتقول (ام ر): "انا مش طالعة للمسخرة ولا للحكي الفاضي، انا هيني الحمدلله الي اكثر من 17 سنة بشتغل بتحداكي اذا واحد حكى علي كلمة وسخة، انا طلعت عشان اربي ولادي". وتضيف (ع):

"بس انا بحب الاكتفاء الذاتي وما بحب أكون تحت وصاية حدا يعني بحب اشتغل واعتمد على نفسي وأكون مكتفية بذاتي، انا ولا يمكن استنى اخوي تيسقيني شاي ولا قهوة ولا مرت اخوي تطعمني صحن طبيخ، علشان هيك مصّرة اني اشتغل مش مصرة عشان بحب اروح عند اليهود، بس مصرة عشان اطول من جيبتي واعيش بكرامة بدون ما احتاج الناس".

وتحدي النساء للمجتمع الذكوري يختلف من امرأة لأخرى، فكل واحدة تتصرف بناء على ظروفها(دي سيرتو، 1984) فتقول (أم م ن):

"لما بديت اطلع اشتغل ابني الكبير حاربني سنة، ما كان بدو ياني اطلع وقللي انا بجيب 100 شيكل بعطيكِ منهن 50 بس ما تطلعي، شو يقولو الناس عني؟ امك طلعت عباب العمود تشتغل؟ بس انا اصرّيت عالشغل، وسنة كاملة وهو ما يحكيش معي، الحين راح ابني لخواله، لاخوتي يعني وقلهم امي راحت تبيع وانا بديش، الحين اخوتي راحو لابن اخوهم اللي كان مدير التربية والتعليم في هذيك الفترة، وقلهم هي ادرى في ظروفها ومحدش يحكي معها ويعني عمتي احنا عارفين شو هي... تروح وين ما تروح احنا ضامنين عليها تكون رجل، وما تحكوش معها

وتزعلوهاش وتجرحوهاش اكثر من هيك. وعاودنا تصالحنا وصار لما انا آجي يجيب مرتو وولادو ونقعد".

فلولا عقلية قريب (ام م ن) المنفتحة ولولا مكانته الاجتماعية الهامة للتأثير على أخوتها لتغيرت مجريات الامور معها بلا شك. فهي بقرار عملها واصرارها عليه تحدت ابنها. اما (م) فتقول:

"جوزي رافض اشتغل جوة في اسرائيل نهائيا، هو بعرف اني بشتغل في الحضانة مع صاحبتي في بيت لحم، بتعرفي اليوم لو يدري اني بشتغل ويرفض بيجوز اتركله الدار، بس انا في نفس الوقت بدي اولادي وعيلتي، وانا عشان جوزي بعرفش اني بطلع اشتغل جوة معظم الوقت بستنى في مفاجأة، وهاي المفاجأة الها وقت إنها تيجي، فبستنى شو بدها تكون ردة فعله، وانا كمان مش عارفة شو بدها تكون ردة فعلي، مش عارفة اذا راح اقبل اقعد في الدار والا هو بده يخليني خلص؟ جوزي مزاجي ومش راح تفرق عنده اذا بطلت اصرف عالدار، يعني 50 يوم منقعد منحكيش مع بعض، انا ببعد عنه وهو ببعد عني، والاولاد منوديهم مراسيل، ابوهم عاش في اسرائيل اكثر ما عاش عنا، فلما بيجي ببقى الجو هدوء وطبيعي، انا بعد هالسنة اللي اشتغلتها، لسة متمسكة في الاولاد وبحب بيتي، فانا بدي الدار والاولاد، بديش افقد الاسرة، والا انا ممكن اسويلي حياة تانية، امي بتقول كل واحد مسؤول عن حاله، بس انا بقدرش اخوض تجربة اني اطلع واسوي بيت لحالي، اذا تخيّرت بين حريتي وبين عيلتي بختار عيلتي. بس بدي اشوف شو بدو يصير".

فعمل (م) في مدينة القدس المحتلة فيه تحدي لزوجها الذي يرفض عملها في تلك المدينة في الدرجة الاولى. ويلاحظ من عينة الدراسة أيضا بأن النساء اليافعات يعتبرن الاقل عددا، وذلك بحكم حساسية موضوع العبور الخفي لأن فيه مواجهة لجنود الاحتلال الصهيوني من جهة فتقول (س): "شو بدهم ايسوا فينا؟ احنا نسوان كبار"، و(أم عل) أيضا أكدت على هذا الكلام عندما خافت عليّ عندما عبرتُ مع مجموعتها أكثر من خوفها على نفسها فقالت: "انت صغيرة والعين عليكِ". ومن الجهة الأخرى فإن عمل النساء الاصغر سنا في بيئة مختلفة خاصة عندما يكون

العمل في التنظيف فيه أيضا مشكلة جندرية، ولهذا فإن (م) تخفي عملها عن زوجها لأنه وبحكم سنها الصغير نسبيا يَعتبر زوجها أن خروجها للعمل مشكلة اجتماعية.

اما مبيت المرأة خارج منزلها فتعتبر معضلة بحد ذاتها عند بعض النساء، فكل يوم تعبر (ام ر) الحدود وتعود إلى بيتها، وعندما تطرقت لسبب عدم مبيتها في مدينة القدس المحتلة قالت: "لاني بقدرش انام لانو في ولاد في الدار، وما بحب انام برة البيت، بالرغم اني بتغلب وكل حاجة بس يعني في بنت في الدار ولولاد في الدار". ففي البداية اعتقدت بأن (ام ر) بإرادتها تفضل الرجوع إلى بيتها يوميا رغم معاناة الطريق، لكن من خلال الحوار تطرقت إلى رفض زوجها على مبيتها خارج المنزل فقالت:

> "بقلّي اقعدي ولا تنامي، هو اريحلي انام في القدس بس هو واصل لقناعة انو المرة دارها احسنلها، وفي عندها ولاد لازم ادير بالها عليهم، بدك تطلّعي عليهم، بدك تراقبيهم، عندك بنتك بدك تشوفي بنتك، كتير شغلات يعني ما بحبش بذايك بحبش".

فالبرغم من تصريح (ام ر) بأن راحتها تكون عند المبيت في مدينة القدس لكن بسبب رفض زوجها تقنع نفسها بأن قرار العودة إلى البيت يوميا هو خيارها وبأنه في نفس الوقت هو الانسب لها ولعائلتها. وتضيف (ام ح): "احنا منستجريش لا بنام ولا اشي، لانه في دار وفي جوز وفي اولاد، لازم تروّحي". فكل نشاط تقوم به النسوة لا بد وأن ينال رضى الذكور من حولهن والا لخلقت المشاكل.

لكن المبيت خارج المنزل لا يعتبر مشكلة على الاطلاق عند بعض النساء، وهذا يعتبر مثلا حيا على اختلاف العلاقات الجندرية بين امرأة وأخرى، فتقول (ام م ن):

"انا لما طلعت اشتغل عشان كنت لازم انام في القدس عشان الطرق صعبة كنت هاكلة هم، اقول: مين بدو يدير باله على الدار وعلى الاولاد؟ مين بدو يطبخلهم؟ والصبح يقوم يفطرهم؟ تركتهم في يوم في لحظة وحكتلهم دبرو حالكو، صارو البنات اشطر مني، يشتغلو في البيت يوم معين مثلا يشتغلو لطول الاسبوع، ويرتبو وما ايخلو اشي، واليوم اللي اروّح في تكون الدار على احسن ما يكون، السجاد مفروش ونضيف، والطبيخ جاهز، وما يسترجوش يكونو معزلين الثلاجة، وكل اشي منضفينه، والخربان كابينه، ومنضفين خزاين المطبخ، وغاسلين الدعسات".

فتلك المرأة لم تواجه مشكلة لدى مبيتها خارج منزلها، ولهذا السبب بدأت تهتم بكيفية تنظيم أمور بيتها في غيابها، فاستطاعت الأسرة تدبير أمورها وبجدارة.

فكما اوجدت جونسن فإنه وبالرغم من تحدي النساء للنظام الذكوري في بعــض الأحيـــان إلا أن النساء أنفسهن يعززنه في مواقف أخرى (جونسون، 2007)، فتقول (ام ا):

"تجربتنا في القدس شالت حاجز الخوف اللي بداخلنا، لانا خلص تعودنا عهاي المعاناة مش زي قبل يروح الواحد ويتخبه، طبعا مش يعني انو طلعنا وراح من عنا حاجز الخوف انو نتمرد لا سمح الله، المرأة الفلسطينية عمرها ما تمرّدت عالجوز ولا عالولد، انا طالعة عشان اساعد الجوز واساعد الولد مش اتمرد عليهم واشوف حالي عليهم، هي الحين الله يعطيهم ويقولولي صفي واطفي واقعدي سويتي ما عليكي، لا احنا مش هينا منطلع يوم يوم؟ اذا بقولو للوحدة تطلعيش يعني تطلعيش".

فخرجت (ام ا) إلى سوق العمل وتحدّت العادات التي تمنعها من ذلك لكنها فـــي نفـــس الوقـــت ترضخ لقرارات زوجها عندما يأمرها بعدم الخروج حتى ولو كان قراره خاطئا، لأنها تعتبر بأن طاعة الزوج هي من واجبات الزوجة الجيدة. وقصة (أم ر) أيضا تحمل نفس المعنى، فخـــروج (أم ر) إلى سوق العمل وخاصة عند العمل في مهنة التنظيف يعتبر تحديا للمجتمع الذكوري، لكن قبول (ام ر) بمعاناة العبور الخفي اليومي لرفض زوجها مبيتها في مدينة القدس المحتلة يعتبـــر

تعزيزا له. وهكذا فإن (ام ا) و(ام ر) تعلمان متى تستطيعا التحدي ومتى يجب أن ترضخا لاوامر الزوج. فبالرغم من تعزيزهما للنظام الذكوري في بعض الاحيان، الا أن هذا التعزيز يعتبر أيضا نوعا من التدابير التي تلجأ اليها النساء لتجنب المشاكل التي يمكن أن تؤدي إلى دمار العائلة.

المحور الثالث: تأثير تجربة النساء على ذواتهن:

حوافز مخاطرة العمل في مدينة القدس المحتلة:

فبعد معرفة تفاصيل مخاطرات النساء وما يتخللها من مصاعب ومجازفة وتوتر، لا بد وأن نسأل عن الحوافز التي تجعلهن مصرات على مواصلة عملهن في مدينة القدس المحتلة. فلماذا لم يستبدلن مكان العمل ليصبح في منطقة عيشهن لتفادي الحواجز والعوائق؟ فلماذا تعتبر النساء بأن مدينة القدس المحتلة مكانا أفضل للعمل بالرغم من أن ذهابهن إلى هناك عن طريق العبور الخفي يعرضهن إلى المجازفة بأجسادهن ويعرضهن إلى إذلال الجنود اذا تم القبض عليهن، ويعرضهن لعيش حالة من الخوف والقلق؟

معظم النساء ركّزن على أربعة أسباب رئيسية تجعلهن مصرّات على مواصلة العمل في المدينة المقدسة. السبب الاول هو العامل المادي، فجميع النساء في المقابلات أكّدن على أن السبب الرئيسي لإقدامهنّ على العمل في تلك المدينة هو الحاجة الاقتصادية، ففي مدينة القدس المحتلة يستطعن جني نقود أكثر مقارنة بالعمل في منطقة عيشهن. وكان هذا السبب المباشر الذي تبرر به النساء معاناتهن للوصول إلى تلك المدينة والعمل فيها. فتقول (ع): "العرب ما بعطو اجار

منيح، وعشان هيك ما فكرتش اشتغل الا في القدس"، وتضيف (م) وتقول: "هانا الاجــور كتيــر تعيسة، زي اللي تعود يقبض مبلغ كبير بيجي هانا يعطو الف شيكل بس؟".

وبالإضافة إلى العامل المادي أجابت النسوة بأن حفظ الكرامــة أيضــا مطلوبــة، فتقــول (ع): "وبعدين العرب ما عندهمش كرامة للواحد اللي بشتغل عندهم، بدوسو كرامة الواحد بالصــرماية بعيد عنك، ما بنشغلش عند العرب."، اما (ف) عاملة التنظيف فتقول: "مرة اشتغلت في مصــنع خياطة، واحنا بنشتغل انقطعت الكهربا، اجا المسؤول ونزّلنا نقشّ لمرته الدار، طيب احنا منخيط مش منضف الدار، عشان هيك ما بنحب نشتغل عند العرب، دايما بستعبدونا".

ومسألة التعود كانت السبب الثالث، فتقول (ام ع): "طول عمري ببيع في القدس مــن اول بيعــة لليوم، ما عمرنيش جرّبت أبيع في بيت لحم، وما فكرتش لسا، انا داري ليش؟ ماخذة ايدي هناك، وزبايني هناك، تعودت هناك"، وتقول (ام م) الرطاسية: "القدس تعودنا نشتغل فيهــا، ومنفكــرش نغيّر".

والسبب الرابع فهو الشعور المختلف الذي تشعره النساء تجاه مدينة القدس، فتقول (ام ا):

> "القدس نفسها هي في قلوب الناس اجمعين، بدون نقاش عن معزتها، هي ثاني مرتبه بعد مكة، هي اللي ربنا حطّها ثاني مرتبة بعد مكة، ومستحيل الشعب الفلسطيني ينمنع عن القدس لانه اذا انمنعنا عن القدس انمنع الانسان عن بلده، فالقدس هي قلب الانسان وجزء لا يتجزأ من الشعب الفلسطيني، فما في نقاش انه الشعب الفلسطيني ينساها لو منطّ عن الجدران منروح عليها، فبتلاقي لو بيت لحم فيها شيكيل ورام الله فيها شيكيل القدس الشيكيل فيها ابرك لو انو عن 1000 شيكيل هيك انا بشوف، ففي دافع من داخلي اني انا احب اروح اجيب قرشي من القدس وتعودت عليها بحسها جزء لا يتجزء من جسمي وانو لازم اروح، يعني انا اليوم مش قادرة اروح ادي صلاة الجمعة هناك قاعدة بوكل في حالي اكل، فتتسيش انو

الصلاة فيها ب500 صلاة فيعني فش فيها نقاش بالنسبة للشعب الفلسطيني وللشعوب كلها".

اما (أم ع) فتقول: "والله العظيم وأنا قاعد في محلي وكأني قاعدة عبرندتنا، قاعدة في دارنا، يعني بقى السيد وبعدين اجا الابن وهالحين ابن الابن، إلي 28 سنة بقعد في نفس المحل". وهنا تعبّر (ام ا) و(ام ع) عن معنى المكان ومكانته في نفسيهما، فمدينة القدس المحتلة تعتبر مقدسة ومباركة عند (ام ا). ومدينة القدس المحتلة أصبحت ماوى (ام ع)، وما أصعب من أن يُحرم الإنسان من الملجأ الذي يحميه.

لكن (ام م ن) فروايتها تختلف فتقول:

"انا بشتري خضرتي من القدس، اه مثلا في فلاح بجيبلك شغلة ومنشتري منه يعني ع مستوى الدوالي اخدنا ب 17 الكيلو يعني 51 الرطل بعناه ب23 الكيلو وهيك بتربحي في الكيلو 5 شيكيل يعني ال10 كيلو بسون 50 شيكيل مع كيس نعنع وكيس بقدونس بتسويلك 120 شيكل، الحمدلله بتحطي بتوكلي ب5 شيكل، وبدك تدفعي للمرة اللي منام عندها 15 شيكل، وبدك تحسبي مواصلاتك، فبدك تصمديلك 90 او 80 شيكل في اليوم، كتير الوضع سيئ".

فعندما سمعت رواية (ام م ن) كانت رواية أمي أيضا في ذاكرتي، فقد عملت أمي كمعلمة في مدرسة مار متري في مدينة القدس المحتلة، في البداية كانت تنطلق من مدينة بيت ساحور وتصل إلى المدرسة بحرية كاملة ودون مواجهة أي عائق، لكن بعد ما بدأت الاوضاع بالتدهور نتيجة لبناء الجدار والاغلاق، في نفس الوقت بدأت نفسية أمي بالتغير السلبي، فكنا نشعر بانزعاجها وتوترها وقلقها وارهاقها، وبعد بضعة أشهر مليئة بالمعاناة قررت أن تستقيل مع أنها لم تجد عملا بديلا في منطقة عيشنا، مع أن وضع العائلة المادي كان بحاجة لعملها. فرواية (ام

م ن) من جهة ورواية أمي من جهة أخرى تخبران عن وجود أسباب خفية تجعل النساء متمسكات في مدينة القدس المحتلة والعمل فيها، وهذا ما سنبينه لاحقا.

مخاطرة ومعاناة:

عند سماع قصص النساء فإن فكرة المعاناة هي التي تخطر على البال في الوهلة الاولى، فيوم المخاطرة الحقيقية تشعر النساء بالأرق والتوتر، فتقول (س): "انا ليلة ما بدي اطلع عالقدس ما بعرف أنام، بضل سهرانة استنى في السيارة تتيجي"، والخروج من البيت بعد منتصف الليل ليس بالأمر السهل، فعندما نزلت من بيتي الساعة الثانية والنصف بعد منتصف الليل قاصدة ملاقاة النساء لكي أعبر خفيةً معهن، ارتعبت من سكون الليل وظلمته. والخوف من الطريق ومن الاصطدام مع الجنود والانصياع لاوامرهم يعتبر أيضا معاناة حقيقية، فتروي (ام ر):

> "لما كانو يحكولي الجنود وقّفي، بقيت زمان أشرد، بس الحين لا، لانهم بفلتو علينا كلاب وكتير سووها، في مرة وحنا في عناتا طاحو الجنود من الجيب معهم كلب وحاطين على ثمه لجام، نادو علينا وشردنا ومردناش عليهم، فلتو الكلاب (أي الجنود) علينا كلب واحد وكان كل ما تقوم الواحدة، الكلب يدعّها زي الظبع، كل ما تقوم الكلب يدعّ ويضرب، بس عضّ طبعا لا، كان يضرب براسه ويوقَع الواحدة ويوصّلها ويدحدلها تحت تحت، واللي يشوفها قاعدة كمان يضربها براسه ويدبّها، يوميها اتجرذمنا ومتنا من الخوف، وعشان عناتا جبل كان الكلب يدب الواحدة على أي إشي، يدبّ عالحديد وعلى كزاز (زجاج) كنا نروّح مشطّبين".

والخوف من التوقيف أيضا فيه معاناة فتقول (ام عل):

> "يعني بكون خايفة بين اللحظة والثانية تشوفي جنود طالعينلك في الطريق، هيك بتقولي، ها انكبظتي! يعني زي ما تقولي حياتك خوف في خوف، يعني مش تقولي

انك ماشية ومتريح بالك! بتكوني ماشية وانت خايفة، يعني الواحد ما بخاف إلا من ربّه بس يعني اذا بكبظوكي بدهم يقعّدوكي".

ولا ننسى معاناة المرور من السياج فتقول (ام ر) وهي تؤشر على جسدها بحزن، لما خلّفه السياج الشائك على جسدها من جروح:

"والله تعبنا من الشيك شوفي اجريّ كيف تشطّبن من الشيك شوفي من هان ومن هان اطلّعي، هذا الشيك اللي بقينا نمرق منه بكون من اللي بجرح، من اللي بشطب زيّ الشفرة، والله ما خلّالنا بلوزة وما خلّالنا حاجة وما خلالنا ايدين ولا اجرين، المزبوط يعني معاناة المزبوط عنجد يعني، بدك تطلعي تهريب معاناة".

والوصول إلى مدينة القدس المحتلة في الصباح الباكر وانتظار ضوء الشمس في الشوارع أو في محل الخضار والنوم على الارض في محل الخضار يعتبر معاناة أيضا، فعندما وصلت مع النساء المصرارة الساعة 4:20 صباحا، سألتهن إلى اين سنذهب، فأجابت (ن): "مندخل ندّارى في هاذ الدكان، صحابه منعرفهم". وعنما دخلنا وجلسنا قلت: "في صراصير في الدكان". وقالت (ام عل): "شو بدنا نسوي؟ والا وين بدنا نروح، ندور في الشوارع؟"، والشعور بالتعب وارد بعد عملية العبور الخفي فتقول (ام م ن):

"يوم اللي منتهرب بضلّ راسي يوجّعني وبضلّ الواحد نعسان إشي طبيعي يعني بتكوني تتصرفي ومش حاسّة في إشي يعني، وانا قاعدة ومبسّطة بغفا بغطس بنام دقيقة دقيقتين، وبصحا على صوت زبون بنادي علية".

ولا ننسى النوم في الجامع على الارض فتقول (ام عل): "من التعب انا دايما بنام في الجامع عالارض، والا شو بدي اسوي؟ ومعاناة النوم خارج المنزل يعتبر تضحية أيضا فتقول (ام م ن):

"صدقيني هديك الليلة كان معي دوا كنت عيانة والدنيا بعد العشا ولقيت باب الحرم مسكر فمعرفتش اجيب كاسة مي عشان اشرب الدوا، وانا دايما باخد معي قنينة زغيرة عشان بحبش اشرب من ورة حدا بس هالمرّة نسيت القنينة، وهاي المرة اللي منام عندها بدك تروحي على مجلاها تعبي كاسة مي او تفتحي ثلاجتها تطولي كاسة مي؟ صعب بتحبش، بتحبش حد يصيب كاساتها، شايفة حالها انها اشي كثير، ماخدة فكرة انو احنا فلاحين عايشين تحت البقر، المهم انا قلت قدامها بدي اشرب الدوا وما جبتش قنينتي معي، بس ولا سألت، نمت يوميتها عطشانة، سمعت وطنّشت، لئيمة ومادية كتير، المهم عندها عدد النسوان، نمنا يا بنت الحلال عباب الدار مفش فرشة، المهم اجارها توخدو، بعدين في الشتا مفش غطا، بكون عدد النسوان كتار وحكتلها هدول حراماتك برضاش احطهن دعاسات باب داري شو بتفكر الناس؟ شو نسوي؟ بس الظروف اجت هيك اجبرتنا يعني نطلع من دورنا ونرضى بهاد، يعني شو ما كان تعطينا الاشي نضيف، الي 3 سنين بقلها يا بنت الحلال اغسلي هالفرشات وجوه الفرشات بكلعطن، هاي بتنام وبتروح وهاي بتيجي بعدها وبتنام على نفس الفرشة، هاد ما بصير، جسمي بصير يحكني، انا المنديل اللي بحطه على راسي بحطه عالفرشة عشان الفرشة ما تصيبش جسمي".

فمخاطرة العمل في مدينة القدس المحتلة تتخللها أشكالا مختلفة من المعاناة، ولا تقابلها مردودات مادية بناءً على كلام (ام م ن)، فعادة عندما تُقابَل المعاناة بايرادات وفيرة، يقتنع الفرد ويستمر في أعماله، فمعاناة مع 90 شاقلا في اليوم، هذا المبلغ قطعا لا يساوي قدر تلك المعاناة، وهذا الكلام يؤكد على وجود حافز آخر يدفع النساء على العمل في مدينة القدس المحتلة، فالغوص في أعماق تجارب النساء أبرز مفهوما لم يكن على البال، فقد برز موضوع المتعة.

مخاطرة ومتعة:

بانتقال امرأة القرية او امرأة المخيم إلى المدينة فإنها تنتقل إلى عالم جديد فتقول (م):

"القدس حياتها كتير حلوة، بس بتضلّي تطلعي عليها ومبهورة فيها، وقديش فيها نظام وقديش ماشيين عالقانون، هما بيجوز زبالة من جوة بس حياتهم كتير حلوة، فيها مليان شوارع احنا فش عنا غير شارع واحد، من المعبر للخضر يعني وين منروح؟ كله شارع واحد. انا بركب باص في القدس وكتير بلف فينا، تقريبا بلف ساعة الا ربع، بكون مبهورة عشان بنزل الباص من طريق بتخيل من الجمال، جبل عالي وشجر وخضار بيخيل". وتقول (ح): "انا لما بطلع عالقدس بحب أطلع وأغيّر جو".

فيلاحظ أن (م) و(ح) وهما تعتبران الاصغر سنا من بين عينة الدراسة تستحضران موضوع الخروج من المنزل وتغيير الاجواء والانبهار بصورة ملحوظة. وتضيف (ام ح) بائعة الخضار:

"طلعتي عالقدس بتخليني اشعر إني بطلع من جو الدار والقرية، وبتشوفي ناس هناك انت عمرك ما شفتيهم، بتشوفي ناس غير شكل عنا، الناس اللي في القدس متحضرين ومأدبين، يعني لما تحكي مع الزلمة او المرة بتشعري انك بتحكي مع اشي مرتب، مش اشي همجي، تبعين بيت لحم بحكو اسكتي اسكتي بس هناك بعيش معهم يوم كامل، يعني مدينة مش زينا، وبتتعرفي ع هاد وهاد، فبتشوفي الناس وبتعيشي معهم يوم كامل، بتصيري تتعايشي انت وياهم اه ولا".

وبالإضافة إلى اختلاف المكان، تنتقل المرأة لوحدها رامية مسؤولياتها المعتادة عليها وراء ظهرها، فتضيف (م):

"وفي القدس بفكر حالي عايشة في فيلم، لأني بطلع من حياة الروتين والعيلة والجوز وبضلّ اراقب الاشياء اللي بشوفها حوالية".

فالانتقال من القرية او من المخيم إلى المدينة يعني الانتقال من مجتمع يراقب المرأة بكل حركاتها وتصرفاتها، فكل أهل القرية يعرفون بعضهم البعض، فتصبح تصرفات النساء مقيدة. فالانتقال أيضا يعني التعامل مع مجتمع مختلف بثقافته وتفكيره، فتضيف (م):

"انا بحس إني بختلف عن الناس اللي حوالية وعشان هيك بحسّ إنهم بحكو علية، ولما بطلع عالقدس بحسّ حالي بتحرر، انا مثلا مش ملتزمة بالمنديل، وانا بلبس طاقية مش منديل، لبس المنديل انفرض علي فرض، بحسّ انو بدي ارضي الناس، بس انا شو بدي في الناس؟ انا لبست عشان ارضي حماي، طب انا بدي ارضي ربنا وشو بدي في هو؟ وكمان لما كنت ازور اخوتي في السجن، اخوية كان يطلب منا نلبس عشان كل النسوان اللي بزورن لابسات، اخوتي كانو مساجين، اختي كانت كتير تسوي معه مشاكل وهي ما بتلبس، بس يوم بتروح بتحط اشي او بتلبس طاقية زيي".

والطريق نفسها أصبحت تعني الكثير للنساء فتقول (ام م) الرطاسية:

"لما منوصل القدس وبشوف النسوان اللي بتهرّبن، منقعد نسأل بعض كيف كانت الطريق اليوم؟ صار معكو أشياء؟ ومنقعد نحكي لبعض"، امّا (م) فتقول: "انا صار عندي متعة في الطريق ولما بطلع بحسّ إني عايشة، حتى كمان بيكون في عمال بيكونو معاهم تصريح قدامي في الطريق مرات بتونس فيهم وبيشوفولي الطريق اذا أمان او لا، وبحكولي".

والنساء اللواتي يعشن في القرى يسعين إلى العمل في مكان يبعد عن مجتمعهن، فيجدن متعتهن في مكان مختلف فتقول (ام م ن) والتي تسكن نحالين: "انا بشعر إني ملكة في القدس، ومش ممكن اتخيّل حالي مبسّطة في بيت لحم وتيجي جارتي لابسة وجاعصة وتشوفني وتمرق عني، ليش هي احسن مني؟". والنساء يتأثرن بالمجتمع الآخر ويتعرّفن على جوانب إنسانية لم يدركنها من ذي قبل فتقول (م):

"في واحدة بحسّها كتير بتشبهني، وضعها المادي مش كتير وهي مرات بتحكيش مع جوزها شهر وانا كمان زيها. وهي بضل تدعي وتطلب وانا كنت اضل اطلب اني اطلع من اللي انا في. وهي بضل تصلي وتطلب هادول العيلة المدينين كتير اثرو فية. هي يهودية وعندها كل الاغراءات قدامها وهي متمسكة في دينها ولبسها. فتعرفت على جزء انساني ما كنت بعرفو فيهم. لما منعمل الاكل منقعد كلنا على الطاولة، وهادة ما بتشوفي عند العرب، عند المسيحية بتصير. انا بحب اللي بحترم اللي بشتغل عنده. أي اشي بسيط بسويلهم اياه بقولولي كل الاحترام".

واختلاط النساء اللواتي يعبرن إلى مدينة القدس المحتلة في الخفاء مع بعضهن البعض يكوّن علاقات وصداقات جديدة فتقول (ام عل):

"انا بصل الجامع اول واحدة بعد ما اخلص شغلي، بصل حوالين الواحدة الضهر، وبقعد اصلي واستنى النسوان، ام ساري بتيجي حوالين الساعة 3 لأنها بتشتغل بعيد، في المالحة، بستنى النسوان عشان نتسلى مع بعض، ومنقعد في الجامع أي القعدة هناك بترد الروح، منديون عن اوضاع الدنيا، وكل واحدة عندها مشكلة بتحكي، ومنحكي عن الناس هذاك مبسوط وهذاك فقير، ومنحكي عن الاولاد، كنّتي هيك وكنّتي هيك، انت غشيمة؟".

فلا تختلط (ام عل) مع نساء الجامع اللواتي يسكن مدينة القدس المحتلة، لكنها تبني العلاقات مع النساء اللواتي يعبرن في الخفاء مثلها، لأنها تعتقد بوجود تشابه بينها وبينهن وهذا العامل يولّد شعورا بالارتياح، بالاضافة إلى أن الانخراط في المجموعات يسنح الفرصة لتكوين تلك العلاقات. وتضيف (ام م ن):

"أنا بصلّي الفجر في الحرم ومنقعد بعد الصلاة مع النسوان، ولا يعني بدنا نطلع في العتمة؟ منقعد نحكي في احترام مثلا هادي اليوم صار عندها مناسبة حلوة جابت اشي حلو وزعته عالكل وهيك، يعني في اختلاط بينا منقعد ومنضحك ومننبسط مع

> بعض، ومنحكي عن الاولاد وعن العيلة ومنخفف عن بعض، فصار في ارتباط بين النسوان اللي في الحرم وصرت اعتبرهن زي خواتي".

فالأجواء بين النساء ممتعة، فيها الضحك وفيها المرح فعندما جلستُ مع النساء يوم مغامرتي معهن بانتظار الحافلة التي ستوصلنا إلى مدينة القدس المحتلة كنا نتحدث ونتحاور لكن (ام عل) لم تشارك في الحوار لبضع دقائق ورأيت أنها مغمضة عيونها فقلت: "(ام عل) غفت". فردت (ن) وقالت: "مهي (ام عل) سمعها ثقيل." وما كادت (ن) تنتهي من الجملة وردت (أم عل) عليها وقالت: "لا سامعة سامعة... يم خلتوني طرشة؟" وضحكنا جميعا بصوت مرتفع.

وحتى عندما تتحدث النساء عن رواياتهن ومخاطراتهن، يروين الاحداث وكأنها طرفة فتقول (س):

> "مرة وحدة كورية والا من الصين التقيت معها في الشارع في القدس وصارت تسألني بالصيني، وما فهمتش عليها وقلتلها I don't know، وعطول قالت اووو!! وطِفرت... قلت والله بدي اشلح هالشبشب وابلّش فيها، طفرت الست وانا شو اسويلها؟ ابصر شو بتكون تايهة عن محل ولا بدها تروح على محل. وقال طفرت أي هو انا باقي دليل سياحي الها؟ بس شكلها سائلة ناس قبلي وما فهموش عليها زيي".

وطريقة (س) في سرد القصص ممتعة، فلا يستطيع احد ان يتماسك دون ان يتقهقه عندما يسمع رواياتها.

فعمل النساء في مدينة القدس المحتلة ومخاطراتهن ساعد على خلق مجتمع مصغر للنساء أنفسهنّ ومن خلال هذا المجتمع يصبح لحياتهنّ معنى مختلفا، ففي المدينة يشعرن بالتحرر ويهربن من مسؤولياتهن ومن مجتمعهن الذي يقيد أفعالهن وتصرفاتهن، فتشعر المرأة بذاتها وتشعر بأنها

تتحوّل إلى امرأة أخرى بتشكيلها هوية مختلفة، ولهذا السبب تصرّ النساء على العمل في مدينة القدس المحتلة، وبهذا المعنى فإن الحاجة الاقتصادية التي دفعت النساء للانخراط في سوق العمل تحوّلت إلى حاجة اجتماعية أيضا ببروز مفهوم المتعة. وهذا الاستنتاج يختلف مع دراسة جونكا التي ادّعت بأن ذهاب الفلسطينيين إلى شاطئ غزة يعتبر هروبا من المقاومة السياسية (جونكا، 2006).

وبالإضافة إلى بروز موضوع المتعة، فتجربة العمل كما تقول (ام ح) يمكن أن تفعل التالي:

"اوه من ناحية اتدردحت اتدردحت، يعني بتعاشري جميع الفئات يعني من الشب للصبية للزلمة للختيار، وبدك تسايسي جميع اللي بمرقو عنك، يعني مثلا صبية بدها تشتري منك بدك تحكي معها كصبية، مرة اكبر بدك تحكي معها كمرة اكبر، يعني لما يكون لسانك حلو ومرتب بقول الزبون والله هاي المرة خضرتها نضيفة وبرجع، أما لما تحكي بدفاشة وثكالة دم ما برجعش، يعني بدو يكون عندك سياسة".

وتضيف (ام م ن) بائعة الخضار أيضا فتقول:

"انا قبل ما اطلع اشتغل جوزي حَبّ ايجوّز الولد، وشاف بنت قرايبنا وشاور الولد وحكالو شو رايك اخطبلكك بنت فلان؟ ووافق الولد وحكالو اه منيحة، يعني زي كأنو تجيبي لابنك لعبة وتحكيلو حلوة هاي؟ يحكيلك اه حلوة، يعني شو كان يفكّر ابن ال19 سنة؟ وانا شاوروني في الأول وما كنتش بدي، فكنا انا وجوزي على خلاف يوم ما حكا مع اهل العروس، بس انا يعني مش بديش العروس، بس الولد زغير، ولسه الولد بشتغلش، ولسه بدري، وبدي يشتغللو شغلة الولد عشان يقدر يصرف على مرته، يعني لساتو جاهل، بس ما ردوش علية، خلص صارو طالبينها وردينا خبر لاهل العروس إنهم يتفضلو، وخطبو وانا حطّوني تحت الامر الواقع، بس هلا مش ممكن اقول لا على اشي ويمشي، الشغل قواني، انا متأكدة لو القصة صارت هلا كان وقّفتلهم ومنعتهم من هالخطبة، هلا بحسّ إنو صار ينحسبلي حساب اكتر، الشارع مش بسيط يما، علمني كتير، عارفه شو تقعدي بالشارع؟ مش

بسيط، في اختلاف كتير تطلعي بدري الصبح تروّحي في الليل المسا متأخرة يعني، الساعه 9 في الليل لسه منكون قاعدين نبيع تيأذن العشا، من حد ما منقعد تتروح انام، هاد شارع بالقدس يعني بدها تكون الانسانة قوية، في السكرجي والحشاش والجندي والشرطي اوسخ اشي بتلملمو وين؟ في الشارع، فانت بدك يكون عندك ثقة بنفسك زيادة عن الازم، وتمشي ما تعبّري لا الهامل ولا الكامل".

اما (ام ر) عاملة التنظيف فتقول:

"في نهاية المطاف بضلّ جوزي رجل شرقي وبضلّ بدو يكون هو المسيطر لحدّ ما يموت، فهاي هي الدنيا بدك تمشّي أمور انت مش مقتنعة فيها، اشتغلتي ولا ما اشتغلتي، الزلمة ما بتغيّر شو ما هي أطباعه بتضلّ هي أطباعه شو بدو يتغيّر في الزلمة؟ بدو يقول بتتعب وبتشقه وبتساعدني؟ ما فشّ زلمة بقول هيك، والزلمة ما بقدّر شغل المرة، بشعر إنو هاد واجبك، هو بحلل لنفسه بس بحرّم على غيره، يعني بحكي بدك تكبري عليّ اقعدي في الدار، يعني بِحكي لو انا بدخّل 10 شيكيل بكفن لدار دبري حالك فيهن، يعني لو بدخّل 50 شيكيل بحكيلك أصرفي منهن وكلي منهن، اه ويحكيلي انا دخلي هيك مش عاجبك اقعدي، مش معجبك روحي على دار ابوكي، يعني لما دخلو يكون هيك عنجد شو أعمل انا يعني احكيلو روح اسرق او روح انصب عشان تطعمني؟ بدي اضطر اني اروح اشتغل واضلني ساكتة".

اما تجربة العبور الخفي فتأثيراتها تختلف بعض الشيء، فكما تشير (ام م) بائعة الخضار: "الخوف بطلنا نعرفو يعني لو اجو مسكونا ولا منخاف ولا اشي". وتضيف (ام ا):

"حاجز الخوف الي بداخلنا شالتو لانا خلص تعوّدنا عهاي المعاناة مش زي قبل يروح الواحد ويتخبه، طيب ما انت بتجيب الاشي لنفسك ليش تخاف ما دام مش عامل اشي غلط؟ احنا مش عاملين اشي غلط، يعني احنا بدنا نعيش، يعني انت الك ام وابو وبتكبض معاش احنا فش عنا ام وابو ومنكبضش معاش، فبدنا نعيش عجبك عجبك، ما عجبك غصبن عنك، احنا ربنا خلقنا ومدام خلقنا وفينا الحياة عالدنيا بدنا نعيش زي ما انت عايش، مدام انت موجود واحنا موجودين بدنا نضل نيجي ونمرق من هان وتشوفنا يوم يوم".

فمواجهة الجدار والجنود لمدة من الزمن يعطي شعورا من الجرأة والقوة، وهذا يؤدي إلى تحريك العلاقة باتجاه الرجل من الطرف الآخر(الجنود)، وبذلك تتغير ثقافة أن المرأة ضعيفة امام الرجل وكما ذكرت سابقا فإن النساء أصبحن يتعاملن مع الجنود وكأنهم حقيقة لا بدّ من التعامل معها، وهذا الشعور يطغى على شعور التوتر والخوف عند النساء المتمرسات.

تجربة العبور الخفي وتمكين النساء

ومن المفيد أن نربط بين تأثير العمل الاقتصادي وتجربة العبور الخفي للنساء وبين تمكينهن، فتعريف التمكين بالنسبة لنائلة كبير هو توسيع قدرات الناس على الاختيارات الاستراتيجية في مرحلة معينة مقارنة مع حرمان هؤلاء الاشخاص من القدرة على الاختيار في السابق (كبير، 1999). وتضيف كبير بأن القدرة على الاختيار هي مسألة مركزية على صعيد مفهوم القوة، غير أن القدرة على ممارسة الخيار مرتبطة بالأبعاد التالية: المصادر، وهي ليس فقط المادية وإنما الانسانية والاجتماعية (المصدر السابق). والفاعلية وتتضمن عمليات اتخاذ القرار وظواهر التفاوض والخداع والتلاعب (المصدر السابق). أما البعد الثالث فهو الإنجازات اي النتائج المترتبة على التمكين (المصدر السابق). ومفهوم الخيار هنا يرتبط بوجود بدائل، فلا مجال لممارسة الاختيار مع وجود بديل واحد فقط، وهنا يجب التمييز بين الخيارات الاستراتيجية، اي المحورية التي تؤثر على حياة الفرد وهي تعتبر في بالغ الاهمية لكي يعيش الناس حياتهم كما يرغبون (المصدر السابق). وهذه الخيارات الاستراتيجية تساعد في تشكيل وتحديد الإطار للنوع الآخر من الخيارات، وهي الخيارات الثانوية والتي تؤثر على نوعية حياة الافراد والتي يكون تأثيرها أقل من تأثير الخيارات الاستراتيجية على حياة الفرد (المصدر السابق). وبالتالي يجب ان نقيس الابعاد الثلاثة بالإضافة إلى العوامل الأخرى التي تؤثر فيها لنتمكن من قياس تمكين

النساء (كبير، 1999). فانخراط النساء في سوق العمل أدى إلى توسيع خيـــاراتهن. فبالنســـبة للمصادر، فقد زاد من مصادرهن المادية بحصولهن علـــى المـــال، وطـــوّر مـــن مصـــادرهن الاجتماعية عن طريق التعامل مع الناس الآخرين واكتساب مهارات اجتماعية كمـــا عبّـــرت (ام ح)، واكتساب سلطة اجتماعية إضافية في عائلتها من خلال تعزيز ورفع مكانتها الاســـرية كمـــا وصفت (ام م ن). وفاعلية النساء برزت عندما اتخذن قرار العمل، وهذا كان واضحا في حالـــة (أم ر)، فعمل (ام ر) فيه تدبير للأمور، فزوجها لا يستطيع الإنفاق على العائلة وفي نفس الوقت لا يجبرها على العمل ولهذا فإنه لا يقدّر عملها، فهو أسقط على عملها حرية اختيارهـــا، لكنهـــا اختارت العمل لتتمكن من الحصول على إنجازات. وفاعلية النساء أيضا برزت عنـــد تعـــاملهن ومواجهتهن لاستراتيجيات المنع الصهيونية وانتهاز الفرص لأخذ مكاسب مؤقتة لتسيير الامـــور والتمكن من نجاح العبور للوصول إلى مكان الرزق (دي سيرتو، 1984). فهذه التجربة خلقـــت انجازات للنساء من ناحية أسرية، فاستطعن تربية اولادهن وتعليمهم وبناء بيوتهن الحاليـــة كمـــا ذكرن سابقا. فالإنجازات التي حققتها النساء كانت ملحوظة على حياتهن وحياة أسرهن. ولهـــذه الاسباب نستطيع أن نجزم بأن عمل النساء قد زاد من تمكينهن.

فتلك هي روايات بعض النساء الفلسطينيات اللواتي يناضلن ويقاومن في حياتهن اليومية من أجل بقاء عائلاتهن بالرغم من كل الصعوبات المحيطة بهن. فبالرغم من الخطورة والصعوبة في العبور فلا يزلن يصلن إلى مدينة القدس المحتلة ويعملن ليلا نهارا من أجل بقائهن وبقاء عائلاتهن.

الفصل الخامس

الخاتمة

إن دراسة تجربة عدد من النساء الفلسطينيات اللواتي يعبرن في الخفاء إلى مدينة القدس المحتلة طلبا للعمل في الدرجة الاولى أظهرت نتائج عدة. فقد أدّت تكتيكات النساء الفلسطينيات مع التجربة والتراكم إلى خلق معانٍ وعلاقات جديدة في ظل ثلاثة حقول: الاحتلال الصهيوني والمجتمع الذكوري الفلسطيني وعلى المستوى الشخصي.

فاستطاعت النساء مواجهة استراتيجية السيطرة المتمثلة بجدار الفصل العنصري والحواجز والجنود باستخدام تكتيكات خاصة تعبّر عن ردود فعل الضعفاء عن طريق ايجاد فاعليتهم في لحظات معينة من خلال الالتفاف على تلك الاستراتيجيات والنجاح في تخطيها وتأدية المهمة بذكاء ومهارة بطرق غير مباشرة وأحيانا عبر تحديها باختراق تفاصيلها. فالنساء يجمعن المعلومات عن الطرف القوي، وينتهزن فرص وجود نقاط ضعف الطرف الآخر، وبالإضافة إلى استخدام اسلوب التماهي والتمويه يستطعن العبور للجهة الأخرى، وبهذا يمكن اعتبار أفعال النساء بالتكتيكات (دي سيرتو، 1984). فالنساء بأفعالهن اليومية التي برزت أساسا كحاجة اقتصادية تعينهن على البقاء أصبحن يقاومن مصدر القمع والسلطة، حيث اتخذت تلك المقاومة معنى مختلفاً عن المعنى الدارج حول المقاومة السياسية الا وهو الصراع والمواجهة المباشرة من أجل ارجاع الحقوق التي سلبها الاستعمار الصهيوني من الشعب الفلسطيني. ففي الحقيقية أصبحت أفعالهن مقاومة لواقع المنع من حرية الحركة وحرية الوصول إلى مصدر الرزق. فالمعاني التي تنتجها ممارسات النساء لنشاطاتهن اليومية تُعتبر نشاطات مقاومة ضد الاحتلال الصهيوني، فبالرغم من عدم تصريح النساء المباشر بتلك المقاومة، إلا أن معظم النساء قيد

الدراسة يضعن نشاطاتهن تحت إطار المقاومة السياسية. وبكلمات أخرى فإن عبور النساء في الخفاء لا يقصد المقاومة السياسية، لكن المعنى الذي تنتجه النساء عند عملية المرور تأخذ منحى المقاومة السياسية. وبهذا يمكننا نقد تعريف جيمز سكوت لمفهوم المقاومة، لأن سكوت يشترط وجود القصد من وراء الافعال اذا اردنا اعتبارها أفعالا مقاومة (سكوت، 1995)، لكن وبسبب خصوصية السياق الفلسطيني فإن عددا كبيرا من النساء الفلسطينيات اللواتي تم مقابلتهن، يلحقن معنى المقاومة عند ممارستهن نشاطاتهن المختلفة. ومع أن الاحتلال الصهيوني بنى الجدار والحواجز من أجل منع الفلسطينيين من العبور ولهذا يمكن اعتبار الجدار استراتيجية بناءً على تنظير دي سيرتو (دي سيرتو، 1984)، إلا أن النساء بعبورهن إلى مدينة القدس المحتلة يتخطين تلك العوائق، ولهذا أعتقد بأن عبور النساء إلى مدينة القدس المحتلة وما يتضمنه من أفعال يعتبر نوعا من أنواع المقاومة السياسية حتى ولو لم تكن تلك الافعال مقصودة منذ البداية.

وبهذا المعنى فإن النشاطات التي تقوم بها النساء لإنجاح عملية عبورهن يمكن اعتبارها دفاعية. فالنساء بعبورهن إلى المدينة المقدسة يدافعن عن حقهن بوجودهن في تلك المدينة رغم وجود سيطرة الاحتلال الصهيوني التي تحدّ من حرية حركتهن وتمنع وصولهن إلى المدينة عبر استخدام استراتيجيات جدار الفصل العنصري والحواجز والجنود، وبهذا فإن الحالة الدراسية تثبت التعارض مع تنظير عاصف بيات حول التجاوزات الهادئة لأن بيات يدّعي بأن ردات الفعل التي يستخدمها الضعفاء لا تكون دفاعية في العادة (بيات، 2010).

ويمكننا ان نجد تعارضا مع رؤية دي سيرتو حول ثبات الاستراتيجية (دي سيرتو، 1984)، لكن الحالة الدراسية أظهرت أن استراتيجية الاحتلال الصهيوني المتمثلة بالجنود يمكن أن تتغير في بعض الأحيان. فلم يعد جنود الاحتلال الصهيوني تلك القوة التي لا يمكن تخطيها او تجاوزها،

بل إن إصرار النساء في محاولة العبور حتى بعد الفشل يجعل من النساء أمرا واقعا عند الجنود، والجنود يتعاملون مع النساء على هذا الأساس، وإلا لأصبح الشغل الشاغل لهؤلاء الجنود مطاردة النساء الفلسطينيات. كل هذا أدى في النهاية إلى حالة انكسار جزئي في استراتيجية السيطرة الاحتلالية، أي بقدر ما تقاوم تلك النسوة واقع المنع الذي يعشن فيه ويواصلن نشاطهن الاقتصادي بالمرور إلى مدينة القدس المحتلة بقدر ما يحدث تحوّل عند بعض الجنود الذين يبدؤون بالتعامل مع هذه الظاهرة كأمر واقع، وهذا يشكّل تراجعا في استراتيجية السيطرة والإخضاع في لحظات معينة. وبالتالي فإن الاستراتيجية فيما بينها قد لا تكون ثابتة، لأن إمساك الجنود بالنسوة وإرجاعهن ومن ثم ذهاب الجيب الإسرائيلي يأذن للنسوة بالمرور.

ومن الجدير بالذكر ان نلاحظ ان انتظام النساء في مجموعة يمكن اعتباره تكتيكا واستراتيجية في نفس الوقت بناءً على تنظير دي سيرتو (دي سيرتو، 1984). فما تقوم به النساء من تكتيكات يعتبر خلقا وإبداعا في المساحة الصغيرة المتروكة لهن ضمن قيود الاحتلال الصهيوني التي تمنعهن من الحركة، فكيفية تدبير النساء لأمورهن رغم العوائق التي تحيطهن هو نوع من التجاوز والتماشي على الواقع الذي يقيدهن بهدف تحقيق مصالحهن في النهاية، لأن انتظام النسوة في مجموعة يولّد عندهن قوة وقدرة أكبر على مواجهة الجنود الصهيونيين والطرق الموحشة، فالمجموعة تحاول قدر المستطاع تقليل فرصة الصدام مع دوريات العدو وتخطيهم للوصول إلى مدينة القدس المحتلة بأسرع وقت ممكن (دي سيرتو،1984). والمجموعة المنظمة على مستوى أفرادها ليست عفوية بل تحتاج إلى تخطيط وتنظيم إي تحتاج إلى هيكلية لفرض السيطرة للثبات، والهيكلية والثبات هي من صفات الإستراتيجية (دي سيرتو،1984). وهذا ما فعلته (أم ع) في مجموعتها و(ن) في المجموعة الأخرى، فمسؤولية التخطيط والتنسيق تقع على عاتق القائدة في

معظم الاحيان، واتخاذ القرارات تكون من مسؤوليتها، وباقي أفراد المجموعة يرضخن للاوامـــر لكن بارادتهنّ. لكنه من المؤكد أن الانضباط للمرأة القائدة لا يكون بلا حسبان فمن الواضـــح أن النسوة ترضخ لقرارات (أم ع) او لاوامر (ن) بسبب خبرتيهما وحكمتيهما، فبدون رأس قيـــادي يصعب في لحظة ما التصرف بالشكل الحاسم والصحيح.

وعندما تخاطر النساء الفلسطينيات ويعبرن إلى مدينة القدس المحتلة، لا تعتبر نشاطاتهن مقاومة للاحتلال الصهيوني فحسب، بل أن عبورهن يعيد تشكيل هياكل القوى المجتمعية الداخليـــة. لأن النساء عندما يتجاوزن الجدار والحواجز الصهيونية، يخترقن أيضا التقاليد الذكوريـــة المتعـــارف عليها في المجتمع بشكل عام وفي عائلاتهن بشكل خاص، يخترقنها ماديا وفكريا (ريختر ديفرو، 2009). وبالتالي فإن التكتيكات قد قامت عبر صيرورتها بإعادة صياغة العلاقات الجندرية، فقد تعززت فاعلية النساء الاقتصادية باقتحامهن مسؤولية إعالة الاسرة او مشاركة أزواجهن في تلك المسؤولية، واستطعن أيضا التحرك بحرية أكبر وهذا أدى إلى تقوية شخصيتهن في أسرهن وفي مجتمعهن.

ونلاحظ من دراستنا بأن زيادة حركة النساء عن طريق النشاطات التي يقمن بها من أجل إنجـــاح عملية العبور الخطر والوصول إلى مكان العمل والانتظام في مجموعة او المبيت خارج المنـــزل والاحتكاك بنساء أخريات يخلق لدى النساء فرصة تنامي الشبكات غير الرسمية. فالنســـاء مـــن خلال مخاطراتهن وعملهن خارج المنزل، يستطعن الهروب من المجتمع الذي يراقب تصرفاتهن ويحد من حرية حركتهن حتى لو لبضع ساعات، ويستطعن ايجاد المتعة لـــذواتهن عـــن طريـــق الشعور بالتحرر من القيود والمسؤوليات الاجتماعية، وأيضا يســـتطعن خلـــق مجتمـــع مصـــغر لأنفسهن، ومن خلال هذا المجتمع يصبح لحياتهن معنىً مختلفـــا، فهـــذا المجتمـــع المصـــغر او

الشبكات غير الرسمية تصبح عبارة عن مصدر قوة إضافية لشخصيات النساء، هذا بالاضافة إلى تمكينهن عن طريق توسيع قدراتهن على الاختيارات الاستراتيجية والتـــي تتحـــدد بنـــاء علـــى المصادر والانجازات والفاعلية (كبير، 1999).

قائمة المراجع والمصادر

مراجع اللغة العربية:

أبو نحلة، لميس. 2008. "ست عائلات: بقاء العائلة وحراكها في ظل الأزمات". في ليزا تراكي. الحياة تحت الاحتلال في الضفة والقطاع: الحراك الاجتماعي والكفاح من أجل البقاء. بيروت. مؤسسة الدراسات الفلسطينية

بابيه، ايلان. 2007. التطهير العرقي في فلسطين. ترجمة أحمد خليفة. بيروت. مؤسسة الدراسات الفلسطينية

بدوي، احمد موسى. خريف 2009. "ما بين الفعل والبناء الاجتماعي: بحث في نظرية الممارسة لدى بيير بورديو". **إضافات**. عدد8. 9-23

بونتو، فيرونيك. 2011. "بين الاكراه الشديد والاختيار الفردي: حكايات فلسطينيين يعملون في اسرائيل". ترجمة محمود سعادة. في اللاجئون الفلسطينيون: حقوق، وروايات، وسياسات. بيرزيت. معهد ابو لغد للدراسات الدولية

تراكي، ليزا. 2008. "مقدمة". في ليزا تراكي. الحياة تحت الاحتلال في الضفة والقطاع: الحراك الاجتماعي والكفاح من أجل البقاء. بيروت. مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

جاد اسحق وسهيل خليلية وجولييت بنورة. 2006. "الأبعاد و الاستراتيجيات للمخططات الإسرائيلية الأحادية الجانب في الأراضي الفلسطينية المحتلة". معهد الابحاث التطبيقية–القدس

جمعة، جمال. 2004. "جدار الفصل العنصري في الضفة الغربية، نظرة على آثاره الاقتصاديّة والاجتماعيّة وانعكاساته السياسيّة على مستقبل الشّعب الفلسطيني". **مجلة عدالة ألألكترونية.** العدد الثالث

جونسون، بني. 2008. "العيش سوية في شظايا مجتمع". في ليزا تراكي. الحياة تحت الاحتلال في الضفة والقطاع: الحراك الاجتماعي والكفاح من اجل البقاء. بيروت. مؤسسة الدراسات الفلسطينية

حمدوش، رشيد. شتاء وربيع 2012. "مسألة الرباط الاجتماعي وسوسيولوجيا الحياة اليومية او المعاش". **إضافات.** 17و18. 111

ديرار، عبد السلام. نوفمبر 1998. "غير المألوف في المألوف او نقد الحياة اليومية". **فكر ونقد.** 13

سكوت، جيمس. 1995. المقاومة بالحيلة: كيف يهمس المحكوم من وراء ظهر الحاكم. ترجمة ابراهيم العريس ووخايل خوري. بيروت. دار الساقي.

شرابي، هشام. 1992. النظام الأبوي واشكالية تخلف المجتمع. ترجمة محمود شريح. بيروت. مركز دراسات الوحدة العربية.

صيام، شحاتة. 2009. القهر والحيلة: انماط المقاومة السلبية في الحياة اليومية. القاهرة. جامعة القاهرة

عاصلة، فادي. 2011. جدار الفصل العنصري: "خنق في الهوة وخلق للهوية". **حوليات القدس**. عدد 12

عبد المعطي، عبد الباسط 1998. اتجاهات نظرية في علم الاجتماع. الكويت. عالم المعرفة

غدنز، انتوني. 2005. علم الاجتماع. بيروت: المنظمة العربية للترجمة

مارشال، جوردون. 2007. موسوعة علم الاجتماع. مراجعة وتقديم محمد الجوهري. المجلس الاعلى للثقافة. المشروع القومي للترجمة. القاهرة. المجلد الاول.

ماشري، بيير. "رمزية اليومي: قراءة في أعمال ميشال دوسيرتو". ترجمة:عز الدين الخطابي. **رؤى**. عدد 24

مجدي المالكي وياسر شلبي وحسن لدادوة. 2004. المجتمع الفلسطيني في مواجهة الاحتلال: سوسيولوجيا التكيف المقاوم خلال انتفاضة الاقصى. رام الله. مواطن

مؤسسة الدراسات الفلسطينية. 2008. فلسطين تاريخها وقضيتها. القدس. مؤسسة الدراسات الفلسطينية

English References:

Abu Lughod, Laila. 1990. “The Romance of Resistance:Tracing Transformation of Power through Bedouin Women. **American Ethnologist**. Vol 17. No.1

Adler, Patricia and Adler, Peter. 1987. “Everyday Sociology”. **Annual Reviews.** Vol 13. 217-235

Bayat, Asef. 2010. Life As Politics: How Ordinary People Change the Middle East. Amesterdam. Amesterdam University Press

Bourdieu, Pierre. 1977. Outline of A Theory of Practice. Cambridge. Cambridge University Press

Brett, April. 1991. Why Gender is a Development Issue. In Changing Perceptions Writings on Gender and Development. Tina Wallace with Candida March (eds.). Oxfam UK and Ireland. (pp. 1-7)

De Certeau, Micheal. 1984. The Practice of Everyday Life. Translation: Steven Rendall. Berkeley. University of California Press.

Elrashidi, Nadia. 2005. “Palestinian Women under Occupation: Basic Analysis of their Status”. For Mifrah

Goffman, Erving. 1959. The Presentation of Self in Everyday Life. New York. Doubleday Anchor

Hamammi, Rema. 2005. “On the Importance of Thugs: The Moral Economy of a Checkpoint”. **Middle East Reports**. 23/7

Hamammi, Rema. 2006. “Resistance without Victory, Survival without Defeat: Sustaining Palestinian Life in a Geography of Adversity”. **Journal of Prince Claus Fund**. #13. (68-83)

Highmore, Ben. 2002. Everyday Life Reader. NewYork. Routlege

Hogan, Michelle. 2008. They're Tough, These Women: The Everyday Resistance of Aboriginal Women to Dehumanization by Government Agencies. A Master thesis submitted to the Graduate Studies and Research. Department of Native Studies. Saskatoon. University of Saskatchewan

Jean-Klein, Iris. 2001. "Nationalism and Resistance: The Two Faces of Everyday Activism in Palestine during the Intifada". **Cultural Anthropology**. Vol. 16. No. 1. Pp 83-126

Jad, Islah. 1990. "From Salons to Popular Committees: Palestinian Women 1919-1989", in Jamal Nassar and Roger Heacock. Intifada Palestine at the Crossroads. NewYork. Praeger

Johnson, Penny. 2007. "Tales of Strength and Danger: Sahar and the Tactics of Everyday Life in Amari Refugee camp,Palestine". **Signs:Journal of Women in Culture and Society**. Vol 32. No 3

Junka, Laura. 2006 "The Politics of Gaza Beach: At the Edge of the Two Intifadas". **Third Text**, Vol 20. Issue ¾. 417-428

Kabeer, Naila. "Resources, Agency, Achievements: Reflections on the Measurement of Women's Empowerment". **Development and Change**. Vol 30. Issue 3. Pages 435-464.

Lefebvre, Henri. 1971. Everyday Life in Modern World. London. Penguin

Patricia Adler and Peter Adler. 1987. "Everydaylife Sociology". **Annual Reviews**. Vol 13. 217-235.

Richter-Devroe, Sophie. 2009. “Palestinian Women’s Everyday Resistance: Between Normality and Normalization”. **Journal of International Women’s Studies**. Special issue. Vol.12#2

Rout-Brooks, Hanna; Duaibis, Salwa; Hussein, Soraida. 2010. “Palestinian Women: Caught in the Cross Fire Between Occupation and Patriarchy”. **Feminist Formation**. Vol 22. # 3

Rubenberg, Cheryl A. 2001. Palestinian Women: Patriarchy and Resistance in the West Bank. Boulder and London. Lynne and Rienner Publishers

Scott, James. 1985. Weapons of the Weak. Everyday Forms of Peasant Resistance. New Haven. Yale University Press

Shalhoub-Kevorkian, Nadera. 2010. “Palestinian Women and the Politics of Invisibility: Towards a Feminist Methodology”. **South Asian Journals of Peacebuilding**. Vol 3. #1

Sharoni, Simona. 2012. “Gender and Conflict Transformation in Israel/Palestine”. **Journal of International Women’s Studies**. Vol 13. #4.

Sztompka, Piotr. 2008. “The focus on Everyday Life: a New Turn in Sociology”. **European Review**. Vol 16. No 1. 1-15

Tong, Rosemarie. 1989. Feminist Thought: A Comprehensive Introduction. Boulder & San Francisco. Westview Press

المقابلات الشخصية:

1. مقابلة مع (ام م)– ارطاس
2. مقابلة مع (ام ا)– ارطاس
3. مقابلة مع (ن)– بتير
4. مقابلة مع (ام ع)– بتير
5. مقابلة مع (س)– بتير
6. مقابلة أخرى مع (ام ع)– بتير
7. مقابلة مع زوج (ام ع)– بتير
8. مقابلة مع (حس) – بتير
9. مقابلة مع (ام ح)– بتير
10. مقابلة مع (ام عل) – الخضر
11. مقابلة مع (ف)– الدهيشة
12. مقابلة مع (ع)– الدهيشة
13. مقابلة مع (م)– الدهيشة
14. مقابلة مع (ام ر)– الدهيشة
15. مقابلة مع (مر) و(ح)–الدوحة
16. مقابلات مغامرة مدينة القدس المحتلة:
    - حديث مع البير
    - حديث مع السائق
    - مقابلة أخرى مع (ن)
    - مقابلة أخرى مع (س)
    - مقابلة مع (ام عم)
    - مقابلة أخرى مع (ام عل)
17. مقابلة مع (ام م ن)– نحالين